الأعمال الشعرية

كاظم الحجاج




مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://www.facebook.com/BookLover8
https://t.me/BookLover8

كاظم الحجاج

الأعمال الشعرية





الأعمال الشعرية

كاظم الحجاج

Poetic works

Kadem Al _ Hajaj

الطبعة الأولى: 2017

إصدار دار سطور للنشر والتوزيع

بغداد - شارع المتنبي - مدخل جديد حسن باشا

هاتف: 07711002790 - 07700492576 - email: bal - alamc@yahoo.com

First Published by Dar Sutour For Publishing and Distribution
Baghdad - Iraq - Al Mutnabi street - Jadeed Hasan Basha Entry

ISBN:978 - 1 - 77322- 101- 4

كاظم الحجاج...

العالم لا يُحْتَمَلُ إلا بالسخرية المبدعة

من السمات التي تميز الشاعر الكبير كاظم الحجاج عن غيره من الأدباء، قدرته الهائلة على صناعة الطرفة ونسج السخرية، للتعبير عن أدق الموضوعات وجعا وتعقيدا، وهو بهذه الموضوعة قد حقق بصمته الشعرية الخاصة، التي جعلته في الصف المتقدم، ليس بين شعراء العراق حسب وإنما بين شعراء العربية الكبار.

ولعل، رشاقة الروح، ورهافة الحس، وعمق النظرة للأشياء، هي العوامل التي بنيت عليها تجربة هذا الشاعر الكبير، الذي بدأ انطلاقته بقوة، وحقق حضوره الملفت للنظر منذ أول مجموعة شعرية له، حملت عنوان «أخيراً تحدث شهريار» التي صدرت في بغداد عام 1973حتى آخر قصيدة وجع شفيف كتبها عن أحزان العراق ومحنة الإنسان في عالمنا المضطرب، حيث بدا صوته الشعريّ صافيا، مؤثرا، بلغته الرشيقة وصوره المنتقاة، وموسيقاه العذبة التي تجعل من قصيدة لوحة فنية متكاملة، تنم عن موهبة وحرفيّة عالية، ونظرة ثاقبة للعالم.

ونحن هنا في «سطور» إذ نتشرف بإصدار مجموعته الشعرية المنتخبة من مجموعات شعرية عديدة، فإننا نحقق فرصة تاريخية مهمة، للقارئ

كي يحظى بهذه اللقية الثمينة من الشعر الحقيقي المؤثر، لشاعر كبير طالما شهدت له المنابر والتجمعات الثقافية التي عنيت بالأدب حضورا فاعلا متميزا.

نأمل أن نكون في إصدارنا ديوان الشاعر كاظم الحجاج، قد حققنا ما نصبو إليه في مشروعنا الثقافي، الذي نسعى لأن نجمع فيه عيون الأدب العراقي للعناية به وتقديمه للقارئ بأفضل السبل.

الناشر

غزالة الصبا

توحيد

يا قريتنا..

لـمُّـي أبناءكِ

أيـّاً ما كانوا،

أو في أيٍّ مكانْ

يا قريتنا..

مجدُ الرمـّانةِ حَبُّ الرمـّان!

البَصرْيّون:

نحنُ من نطفئ الشِعر

حينَ ننام..

ونـُؤرّقُ مصباحَنا

.. للضيوف.

تجنيس:

«إلى راشد عيسى»

أجملُ موتٍ للسُكّر

في أقداح الشاي

ولهذا..

ما أحلى ذوبان الشعراء!

حسناء:

كان زغبُ خدّيها

مثلَ بُخار

يتطاير..

من ضوءٍ مسلوق!

تحرير:

الدمعة ماءٌ مسجون

ينتظر الحريّةَ

مِن حـُزنٍ.. قادم!

لولا:

أجملُ بيتٍ فوق الأرض

.. التفاح

لولا..

أنَّ الساكنَ.. دود!

تبشير:

كانت الحسناء..

تنشرُ الإيمانَ بخالقها

أسرعَ من جيشٍ من المبشرين

فأينما مشتْ،

تتردّدْ من حولها:

«سبحانك»

رفض:

أرفضْ!

يستطيع حتى الكرسي

أن يرفض بديناً ـ يجلسُ عليه ـ

بأنْ

يكسرَ نفسَه!

ورق الأربعين

تسّاقط الأيّامُ فوقَ العُمر

يا ورق السنين

كنْ مرّةً شجراً شجاعاً

وأتــَحدْ..

ضدَّ الخريف!

أمجاد

حتى بين رصاصات الجنود

رصاصاتٌ محظوظةٌ:

تلك التي تخطُئُ أهدافَـها

ورصاصاتٌ تعيسة:

تلك التي ترتكب..

أمجادَ الحروب!

جنوبيّون:

مثلَ خبز الأرياف..

خرجنا من تنانير أمهاتنا

ساخنين ـ

لأجل أن نليق..

.. بفم الحياة!

زوّار:

نفكُّ صرَّةَ الحُزنِ

بوجه الضريح

نبكي..

يقول والدي ـ

.. لتستريحْ

فالشرقُ دمعتان:

للحسين ـ يا بُنيّ ـ

.. والمسيح!

مراهقة:

بين التفاح الناضجِ

والتفاح الفجّ

فتاةٌ..

في هذا العمر.. الحامض!

الفجر

ما لم تغادر الطيور أعشاشها..

ما لم يخرج الفلاحون

والرعاة إلى الحقول

والعمّال إلى المصانع

ما لم تمسح الأمهات نومهُنّ

ويُشعلن نيران المواقد

ما لم تفتح الجميلات ـ

كلّ الجميلات ـ عيونهنَّ

ثمّ يتثاءبنَ في وجه الكون..

ويبتسمن.

ما لم يحدث كلّ ذلك، في كلّ يوم

فإن صياح الديك وحدَه

لن يصنع فجراً جديداً!

شجرة الأقزام:

أفكّرُ الآن في مِقصّ كبير

ساقاه تكملان يدي فلاح عتيق -

أو أفكّرُ في صحيفة قديمة

قديمة جدّاً..

مرَّ على صدورها يومٌ كامل! -

أخفي بداخلها منجلاً

أو منشاراً حتى..

ليس لأجل شيء عدوانيّ أو شرّير

سوى أنني لا أريد أن أحني رأسي

لم يسبقْ لي أن أحنيت

هذا المولود على رقبتي منذ 1942

لم أحنه لشيخ قبيلة أبي

ولا لِـرجُل دِينه..

ولا لأبي حتى..

....

ففي مدينتي

ما زالت هناك أشجار ضالـّة

وهناك شجرة أخرى

لم تـَمُتْ لحدّ الآن

شجرة كالبتوس

فلاّحو البصرة يُحرّفونها إلى «قلم

طوز!» ـ

تتدلّى أغصانها هكذا:

عفواً! لا أستطيع تقليد انحنائها! ـ

الشجرة المنحنية

كما لو كانت تسأل طفل أشجار

تائهاً عن اسم أبيه! ـ

شجرة الأقزام هذه

تخيّرني بين أن تخدش رأسي

ا، انحني لها!

ا مدشةُ كلَّ يوم

ين أمرُّ تحتها..

ي الطريق إلى مقهانا

حيث ينتظرني هناك سِكّيرو الشاي!

أصحابي المدمنون على بعضهم!

كاريكتير شرقي:

امرأة حبلى في آخر أيام الحملْ

تجلس صاغرةً تتبسّم

يجلس قدّام المرأة رجلٌ بثياب البيت

يبدو شرساً بشوارب قرصان ـ

وبإحدى كفيه عصا

تتهدّد بطنَ الحاملِ

والتعليق:

«فليتأدبْ منذ الآن!»

آدم وحواء:

في الشرق..

لا رجلٌ ولا امرأةٌ

هنا: ذكر وأنثى

حتى المجلة عندنا أنثى

إلى الذكر.. الكتاب!

نضج

إني فتىً كالبرتقالة شاحبٌ

والبرتقالة لا تخافْ

لكنّما..

يَصفَرُّ وجهُ البرتقالةِ

كلّما قربَ القطاف!

أجزاء المرأة:

فرحي قليلٌ في المرايا

ولأنني أحببتهُ ؛

كسّرتُ مرآتي

ليكثر.. في الشظايا!

سيناريو موت جندي
في أرض أخرى

(1) لقطة أولى:

خوذٌ خلّفتها هزيمة جيش الغزاة

خوذٌ للجنود ـ المشاة

يرتّبها نسقٌ صارمٌ

وتقود تقدّمها.. سلحفاة!

* * *

(2)

في مطبخها تتشاءم أمُّ الجندي الغائب

من كرسيّ فارغ

وإناءٍ خالٍ من أيِّ طعام

فتهربُ دمعتها عن عين أبيه وأخوته..

* * *

(1)

ولكنّها

بين صوت ارتباك الملاعق فوق

الصحون ـ

تكسَّر بالدمع صورة كرسيّه فارغاً

وصورته الجامعية..

وهوَ.... هناك.

* * *

(4)

سِلك ذاكرةٍ مبهمٌ مثل خطِّ المدار

طرفاه... بعيدان

بينهما زمنٌ ودماء مؤجلة ونهارْ

هنا يبتدئ وهو منطفئ.. ها هناك

ثابتٌ في الخرائط فوق الجدار

ولكنه ـ في المدى ـ أربَكُ من سمَكٍ

في الشِباك

* * *

(5)

حين يموت الجنديّ غريباً

في أرض أخرى قد يحسد قاتلَه الموعود بموت..

لا غربةَ فيه!

* * *

(6)

تهيئُ غرفته كلَّ يوم

وتُبدل صمتَ الستائر

تفتحُ شبّاكه، وتنام دقائقَ

فوق وسادته لتشمَّ تلامُسَ خديّهِ

(قطعٌ سريع)

* * *

(7)

.. تسقطُ كفّ الجنديّ

على أرض ترفضها،

وتراب يأبى أن يصبحَ طيناً

بدماء غريب!

* * *

(8)

لا تبعد ذاكرةُ المقتولِ عن القاتلِ

.. والنزفِ

ودائرة القتل مربّعةٌ

لتُذكّر.. بالشطرنج!

(قطع)

* * *

(.. إلى)

(9)

بنتٍ تكتبُ في حبٍّ

وتُقبّلُ أوراقَ رسالتها..

* * *

(10)

(مزج..)

يتحسّس أوراق رسالتها

المدسوسة في الجيب اللاصقِ بالقلبْ

لا يُخرجها..

خشيةَ أنْ يتلفَها دمُه

أو.. خجلاً من أن يقرأها

بأصابعَ مرتجفاتٍ، تتراخى.. للموت!

* * *

(11)

في معرض أسلحةٍ:

* فوق الدبابات يطيرُ حمامٌ ساخرْ

* طفلٌ يسألُ صاروخاً:

ـ كم بيتاً يمكن أن تهدم؟!

* كهلٌ يسأل صاروخاً:

ـ كم بيتاً يمكن أن تبني؟!

* * *

(12)

ذاكرة تمشي مثلَ النور:

تمسحُ خارطةً من جُزر ومحيطاتٍ..

لِتُلامِسَ وجهَ الأم

في مطبخها ـ الناقص كرسيّاً ـ

..ني

، الطبق الفارغ.. مكسور!

* * *

(11)

قطع

إلى أستاذ جامعي

يسأل:

ـ الجنود..

في إجازاتهم يدخلون إلى المكتباتْ

فمتى تدخل المكتباتُ..

إلى الثكنات؟!

* * *

(14)

صوتُ أغنية:

«كلما اشتعلتْ نارُهم فالسماءُ

بها مطرٌ باردٌ.. والحَمام

يحوّمُ فوق الحريق.»

* * *

(15)

لافتةٌ ملطخة بالدماء مكتوبٌ عليها:

«قبل أن نبتني وطناً لنعيشَ عليهْ،

ألا بُدَّ مِن وطنٍ أوليِّ

نموتُ لهُ؟!

* * *

(16)

بنتٌ أخرى تكتبُ في حبّ

وتقبّلُ أوراق رسالتها..

* * *

صوتٌ مع كلمة (النهاية):

ما يدعى نصراً

في كلّ حروب التاريخْ

لا يَعدِل نصرَ الأمِّ..

تحدّق في المولود.. الخارج توّاً!

عبور غزة

أكمل سليمان الحلبي، دراسته في الأزهر الشريف وعاد إلى حلب ليتلقّى من هناك رسالة غامضة، عاد على إثرها إلى مصر، حيث قام بقتل «كليبر» قائد حملة نابليون، فحوكم.. وأعدم!

* * *

غزّةُ البدءُ

لا ينتهي عندها البحرُ

لكنها تبتدئ من جميع النهاياتِ..

يستجمع البدوُ أشياءهم

تختفي واحةٌ في السرابْ..

غزة الآن موعودةُ الليلِ

إمّا المغيرونَ

أو عابرٌ حاصرته الذئابْ

* * *

ضيفنا يعشقُ الصمتَ
لكنّه قال لي في الصباحْ:
الطيور التي لا تهاجرُ
لا تستحقُّ الجناحْ!

* * *

يولد البحرُ من غيمةٍ
مثلما تولد الحربُ من كبرياءْ..
هكذا أضربَ البدو عن بيع أشيائهم
فالدكاكين فارغةُ الامتلاء
يا سليمان..
يكفيك أن تعرف الناس
من نظرة للدكاكين ؛
هل يشتري الفقراءْ؟!

* * *

عند خانٍ بغزّةَ أوقدتُ سهواً بلادي
فمن «حلبٍ» جاء مصباحُ زيتْ
ولمّا أضاء.. بكيتْ
أما للغريب هنا أهلُ بيت؟!

* * *

لم تسعنا غرفةُ الأغرابِ

كنا أربعين ـ

منعوا أرجلنا أن تنثني

فجلسنا واقفين!

* * *

أقفلتْ مصرُ حاراتها

يا سليمان ـ

وأكتظَّ بالغرباء الرصيف

أذنتْ للصلاةِ الشوارعُ

الله.. أ.. كبر..

لمّا توضأتَ بالدمِ

أسلمتَ وجهك.. للشام!

التماثيل

التماثيل مِن حجرٍ ميّتٍ ـ خالدٍ

.. لا يموت!

ولكنّها:

تعكسُ الميتين العظام

من مقابرهم ـ

للميادين..

أو للبيوت!

المُمثّل

السيّد مخرجنا المغرور

أعطاني دوراً..

ولأني مقبولٌ ـ من حيثُ الجثة ُـ

للدَور

.. وافقتُ..

....

وقال المخرجُ:

احفظ دورَ «السلطان العادل!»

ها. ها.. (في سرّي طبعاً!)..

سلطانٌ عادل!

* * *

وكأيٍّ من أبناء الكلب

ظهرتُ على المسرحْ:

أقتلُ. أشنقُ. أمرحْ

وتزوجتُ جميع نساء الدولةِ

– أعني. كلَّ بنات الكومبارس!–

لكنْ

كان عليَّ – أنا (السلطانَ العادلَ) –

أن أشنقَ شحّاذاً؛

من أجل رغيفٍ مسروق.

سامحت الشحّاذَ

فأفسدتُ الدَور!

آثار

تركتُ في خاطري آثار أسنان الفقير

فوق تفاحته الأولى

....

.... وغابت

لون

حين وقفتُ في طفولتي

للمرّة الأولى ـ

أمامَ فتاةٍ خضراء العينين

كنتُ مرتبكاً

وأكاد اعتذر لها عن.. لوني الأخضر

فهكذا ظننتـُها ترى الأشياء!

(مساء ـ داخلي)

قصيدة سيناريو:

(1)

ساعةٌ في الجدار

تشير إلى الواحدة..

وبعض الزمان..

(2)

زجاجة خمر على حافة المائدة..

قدحٌ يمتلي نصفهُ بالنبيذ

وتفاحةٌ ـ نصف تفاحة ـ

.. وكتاب.

(3)

هلالٌ بعيد..

كالطباشير داخل سبّورة من ظلام ـ

.. تؤطــّره النافذة

(4)

رماد السجائر تذروه مروحةٌ

باستدارتها ـ

عن وعاء الرماد..

(5)

حفيف ثياب الستائر

يكشفُ عُريَ المساء..

(6)

فجأةً..

خنجر البرق يثقب بطن الغيوم..

يتفجّر خزّانـُها

ويبلّل (ثور السماء!)

فيطلق حنجرة الرعد ثورُ السماء!

(7)

ها الساعةُ الـ (في الجدار..)

ير إلى الواحدة..

نصفٍ.. وبعض الظلام.

(8)

فارغٌ قدحُ المائدة..

والزجاجة مقلوبة في الفراغ

مثلما الجرح ينزف منها النبيذ.

(9)

رمادُ السجائر تذروه مروحةٌ

حينما تستدير..ـ

(10)

.. على رجُل ساقطٍ

أسفلَ المائده..

(11)

يدهُ هامده!

(12)

العقارب تنأى عن الثانية..

وخمسِ دقائقَ.. فوق الكتاب..

(13)

صوتُ قلبِ رتيبٌ

يَدُقُّ الزمانْ

على صورة الساعة.. الجامده!

أعمار:

أعمار الخرفان

تتراوح ما بين..

الراعي.. والجزّار!

تعكير:

ما أسهلَ أن يلقى حجرٌ في الماء

ليشوّهَ وجهَ البدر!

نقد ذاتي:

إنّي..

رجلٌ..

يخجلُ..

منّي!

عارضة أزياء:

لم تأكلْ من عامينِ

سوى ما يسمح للعظم الممشوق

بأن يبقى يتراقصُ

تحت الجِـلد الناعم

لتقول:

بأن مجاعتهم لو حلّتْ

فهي الأكثر إغراءً

مِن كلِّ مجاعات الفقراء!

شفافية:

النهر الصافي جدّاً

أسماكُه مهدّدة!

غرق:

التعيس..

تعلّم كلمة واحدةً:

(سفينة)

ما إن كتبها

حتى غرقت.. في الورقة!

سكيتش

الرسّام

همَّ بتخطيط قفص

الطيور..

هربت إلى لوحة أخرى!

نجوم:

كانت الزرقةُ مدقوقةً

في سقف السماء

بملايين المسامير المضيئة!

القرى:

أنبياء القرى لا يُصدّقهم أحدٌ
عارُهم.. أنهم في القرى وُلِـدوا!
القرى.. القرى:
بقرٌ يتبوّل في المكتبات
والقرون تهدّد أشعارنا.
القرى..
بشرٌ لا يباع ولا..
في مزاد القرى ـ
.. يُشترى!
القرى 2:
قال لي قرويٌّ
توجّس مِن صحفٍ تحت أبطي ـ
قرانا.. هناك
بفضل المحافظ ـ
لا تشتكي أيَّ نقص!

لقاء إذاعي مع العريف المتقاعد حطّاب:

ـ يا سادتنا،

هذا بطلٌ من أبطال الحربْ

رجلٌ في الخمسين

أبدلَ منذ سنينْ، حربته بالمنجل

وبدأ يعمل..

أهلاً.. ماذا تصنع؟

إني أزرعْ..

ـ شيء رائع.. ماذا تزرع؟

لا أزرع من أجل الأكل،

ولا للزينة،

لكنّي أزرع تعويضاً!

أعني؟

جلٌ خاض الحرب..

اني ـ وأنا أتقدم أو أتراجع

الأرض الأخرى ـ قدْ دِستُ وروداً..

طعتُ، لأجل التمويه، غصوناً

لا أدري كم كانت..

ورأيتُ النخلَ يُقصّ

ولم أحتجّ ولم أذرف دمعاً،

وأنا فلاحٌ يا بنتي، لكنّ الحربْ

قد تـُلبس فلاحاً طبعَ الجندي

وتـُنمّر من يتردد في سحق النملة

.. ويصير الشاعرُ قنّاصاً!

.. هذي الحربْ.

ـ أدخلتَ الحربَ لأجل الـ..

أنا لم أدخلْ..

دخلتْ فيَّ الحربْ

هل تفهم بنتي ما أعني؟

ـ في رأيك هل يمكن منعَ الحربْ؟

في كلِّ الدنيا،

بين الشرق وبين الغرب؟

حسناً.. لا أعرف أسماء الشعراء

الأمريكيين، ولا أسماء الروس الشعراءْ

لكنْ أدري، لو أنهمو حكموا البلدين..

لو تـُعلن أحزابُ الشرق وأحزاب الغربْ

عن ترشيح الشعراءْ

ليصيروا حكّاماً..

هل يمكن للشاعر

أن يُتلف بستان الشاعر؟

أو يحرق مكتبةً حتى للأعداء؟

هذا التاريخُ يسجِّل،

هل قامت معركةٌ

بين الشعراء

وتعدّت سطراً من عتب أو بيت هجاء؟

ـ حسناً. ماذا لو نتحاور حول الحبّ؟

الحبُّ لدينا أسرعَ

هذي الأيامْ

ي الآن امرأةٌ

تُ عليها فتزوّجنا!

ل يكفي هذا لزواجِ؟

ل لي: هل كانت حسناء؟

حين ابتسمت

وتمدّد شمعُ الخدّينْ

صارت شفتاها لي قلباً

لو ضحكتْ لانشقَ اثنين!

- ما أحلاها! هل عندك منها أبناء؟

ابنٌ واحد.

- ماذا يدعى؟

تعنين الاسمَ..

لقد قطعتُ له أوراقاً

في كلٍّ منها أسمٌ

وتركت له أن يختارَ

فهذا خيرٌ من أن نفرِضَ كلَّ الأشياءِ

على الأبناء: الدينَ وشكل الوجه

وميراثَ العاهاتِ.. أحتى الأسماء؟

ـ هل يحدث أن تبكي؟ ومتى؟

مثلي قد يبكي للبسمة ذائبة

بين الأحزانْ

وأنا لا أبكي الآنْ

.. في ماضينا كان الدمعُ أعزَّ وأصدقْ

ولهذا كنّا نمسحه بمناديل حريرِ

ما زالت في خزانات ملابسنا..

أمّا حين اخترعوا منديل الأوراقِ

فقد صرنا نرمي بالدمعِ معَ المنديل!

ـ هل تؤمن بالأبراج؟

أعني ما برجك؟

برجي برجُ الثور..

وأنا لستُ عنيداً جداً مثل الثورْ

لكنّي في كلّ صباحِ

اهداني لمدير الصحة في قريتنا

وأسأله: كيف الصحة يا دكتور؟!

هل تطلب أغنيةً ما

او شيئاً تسمعه؟

بل عندي أغنيةٌ

لا ينقصها إلا التلحينْ

فأنا في بعض الأحيان أقول الشِعر.

ـ هل تحفظها؟

لنغرسْ وردةَ الحبِّ

بأيدينا على الدربِ

ونبني لصغار الأرضِ

أمجاداً.. بلا حرب!

ـ شكراً، وإلى أن ألقاك..

بنتي..

ـ ماذا؟

لم أذكر أسمي للناسْ!

ـ لا تذكُرْهُ..

فجهازُ إذاعتنا حسّاس!

غزالة الصبا

يا زمانَ الشناشيل دارَ الزمانْ

دارُنا لم تعُدْ دارَنا..

جارُنا لا يُسلّم مِن قلبه!

ـ في زمان الشناشيل كنا نسلّم من

قلبنا..ـ

وخدودُ البناتْ

ـ لم تعد تتورّدُ من خجلٍ

(صرنَ يصبغنها!)

....

و«كتاب القراءة»

ما عاد يحكي لنا رحلة السندبادْ

ويحَ ذاكرتي!

لم تزل صورة السندباد

في قراءتنا ـ

وهو يحمل شيخاً على ظهره مجبَراً..

والمعلّم يأمرنا

أن نحدّق في محنة السندبادْ

* * *

ويحَ ذاكرتي!

أتذكّر رائحة الحبر

(أوّلَ يوم كتبنا به)

ورائحةَ القلم الخشبي

.. وكحولَ الطبابةِ:

.. كُنا نلقـّحُ في أوّل العامِ

ضدَّ التدرّن (يحفظنا اللهُ)

.. ماتَ صديقي بهِ

وأخي كادَ..

ـ ما زال كهلاً نحيلاً ـ !

....

وكانت محلتُنا في المساءْ

تضاء بضحكات أطفالها

....

ويحَ ذاكرتي!

أتذكّر عينَ (الغزالةِ)

.. كانت تـُعلّقُ قمصان إخوانها..

حسرتي من زمانْ:

أنْ أراها تـُعلّق فستانـَها..

ـ في زمان الشناشيل كان النساءْ

يُعلقنَ أثوابهنَّ

بزاوية لا يراها الرجال! ـ

....

والشناشيل خضراءُ لامعةً كالمروجْ

والغزالةُ تلصف للشمسِ

بين الشناشيلِ..

كان الزقاقْ

.. غافلاً عن عيوني أنا وعيون الغزالْ

ومنذ الصبا صار قلبي يجاوب

قبل السؤال!

* * *

ويحَ هذا الزمان!

.. وكبرنا ـ أنا والغزالة ـ لكننا

ما نقلنا محبتنا للكلام

وأصابعنا لم تلامس أصابعنا.. بالسلام!

....

ويحَ هذا الزمان!

أمس أبصرتُها كالشناشيل محنيّةً

ورأتني.. رأتني العجوزَ الذي في القراءةِ

يحملهُ السندباد!

من ألواح الشاعر السومري

(أنا هو):

لأنّي نحيل،

لم أكلّف الربَّ طيناً ليخلقني!

صاحَ بي: يا أنا هو

ففتحتُ عيوني

ـ أيّما وطنٍ تشتهي؟ قالَ

قلتُ: الجنوب

وإلى أين تلجأ في البرد، في الحرّ؟

قلت: النخيل

وماذا ستأكل؟ تشرب؟

تمراً. وماءً. قليلْ

إذاً فاستمعْ يا أنا هو

سأقول وتفهمني:

يا أنا هو: تبصّرْ.. تبصّرْ

* * *

حين ارتفعت صرخاتُ الإنسانْ

نحو الربّ الأعلى «آنو»

صعدتْ مثل بخارٍ

لمستْ قلبَ الربّ الساخنْ

وارتدّت صوبَ الأرضِ إلى طوفان!

ولأنّي نحيلْ

فإني الأحَنُّ على الأرضِ

يا وطني!

هل تراني أدوس ترابك كالآخرين؟

ألستُ الأخفَّ عليكَ

ألستَ الأحنّ؟

* * *

من حكمة ربِّ الأهوارْ

أنّ البرديّ اليابس

يتكسّر دوماً تحت كمين الخنزيرْ

يتنبّه أنكيدو..

ويُنبّه گلگامش

* * *

عشتار..

لا تستحمّ مثلما كانت بلا..

فالطائرات ـ دونما حياء ـ

.. تبحثُ في الأهوار عن أسرار ـ

* * *

أوراق العنب الأولى

طارت فوق بخار التكوينْ

رسمتْ درباً من ريحِ

بين حقول الكرْم وبين الحاناتْ

يا صاحبة الحانةِ..

أنكيدو.. مات!

فلنرفعْ في صحّته

نخبَ الغائب!

* * *

امّا شربتُ مرّةً
من غير ما أحبابْ
نسيت نفسي خارج البيتِ
وأغلقتُ عليها الباب!

* * *

تتباهى عشتار:
أنـَـا في سومر
أوّل من علّم أهل الأرض القبلات:
الأولاد..
همسوا أن شفاه الطفلة «ها هي»
تبدو أكبر من كلِّ شفاه الأطفال!
قال أنا هو: سنقارن بين الشفتين!
رضيتْ ها هي أن تطبق شفتيها
في شفتيه
لكن لم تغمض عينيها!
وأنا هو ـ أيضاً! ـ لم يفتح عينيه!
قال الحكّام الخبثاء:

لا فرقَ كبيرٌ.. شَفتا ها هي

أكبر بعض الشيء!

ضحكت ها هي، سنجرّب ثانيةً!

وإلى أن كبرا. ها هي وأنا هو ـ ظلاّ

في السرِّ وفي خلوات الهور

يُطبقُ كلٌّ شفتيه على شفتيه.

* * *

يقول لوحٌ سومريٌ ساخر:

«إنَّ الطائرات التي كانت تحوّم

فوق الأهوار

منذ خمسة آلاف سنة! ـ تهيأ لها

أن تصوّر

مشهدَ القبلة السومرية الأولى

بين ها هي

وأنا هو.. آلهة الحب

الغربيون وجدوا أنَّ

القبلة لا بدّ ستكون أجمل

لو كانت بين أشقرين،

أو مَن هما أقلّ سمرة من السومريين..

فأقرّوا التقبيل العلني

على امتداد شوارع

أوربا.. «خرمٌ هنا»

المفارقة: أن القبلة عادت ثانية

إلى أرض

سومر بعد خمسة آلاف سنة مع أفلام

«هولي وود»

في قاموس أنا هو:

سومر قد تعني أرض السُمْر،

فالصيف يُذكّر كلّ الدنيا ببلادي

ولهذا.. صيف الأوربيين summer!

فتبصّرْ يا أنا هو!

....

وعرف أنا هو أخيراً أن كلمة الربّ:

تبصّرْ تعني: كن بصْريّاً!

* * *

لماذا الجنوبْ. طيّبٌ يا أنا هو؟

ورجال الجنوبْ

سومريون سُمر كخبز الغروب؟

يمنحون المضايف شكلَ القلوب؟

يا أنا هو.. وكلاب الجنوبْ

وحدَها تُتقنُ الاعتذار!..

تنبح الضيفَ وسط الظلام..

وتمسح أذياله في النهار!

ولذا نحن ـ أهلَ الجنوب ـ

حينَ نغتربُ..

تتجمّع أوطاننا مثل قبضة كفٍّ

وتخفق.. تحت الضلوع!

قصة شعرية

حكاية العبد آدم وعين الغزال:

يروي زنوج أمريكا هذه الطرفة:

«أراد زنجي دخول الجنة، فأوقفه ببابها القدّيس بطرس قائلاً: نحن في العادة لا نسمح للملونين بالدخول إلى هنا ما لم يكونوا متميّزين في حياتهم، فهل كنتَ متميزاً في حياتك بشيء يا بني؟ أجاب الزنجي: أنا كنت مميزاً بشجاعتي الفائقة، فلقد عشت حياتي كلها في ولاية جورجيا العنصرية. وفوق هذا فقد أحببتُ فتاةً بيضاء، وصممت على أن أقيم مراسم زواجنا في كنيسة للبيض.. وكان بباب الكنيسة خمسون من عصابة الكوكلكس كلان وكانوا مسلحين بالبنادق! قال القديس بطرس: هذه لا شكَ شجاعة نادرة. متى كان ذلك يا بني؟

أجاب الزنجي: قبل نصف ساعة يا سيدي!!»

* * *

شمس إفريقيا..

منذُ بدء الخليقة

كانت تـُهيئُ آدمَ إفريقيا

إلى لونه الداكن المستكين

شمس أولئك الآخرين..

منذ بدء الخليقةِ

لم تتدخّل بألوانهم!

* * *

في مرآة الماء

أبصرَ آدمُ أفريقيا

ذاك الوجهَ الراكع كي يشربْ

فتبسّم للّون الأسود.

....

في مرآة الماء:

أبصرَ آدمُ أوربّا وجهاً أبيضَ

كان الفصل شتاءً ـ

فتوهّم أنّ الإنسانْ

مخلوقٌ من ثلج! وتبسّمَ. لكنْ مغروراً!

* * *

نرى أن العرب أطلقوا

على الأفريقيين كلمة الزَنج

من خلال علاقتهم التجارية

بـ (زنجبار)..

أما الأمريكيون الذين كانت

سفنهم الرهيبة تسرق

أبناء الساحل الغربي

فقد أطلقوا عليهم:

NIGGERS أي النايجيريين..

والله أعلم!

العبودية ابتدأت من بناء القصور:

غـُرفٌ لا تُعدّ لشخصين اثنينِ:

سيّدة وغنيٍّ

وكلبهما ربما، والضيوف المرائينَ

لابُدّ من خادمٍ! فكّر السيدان

وبما أنّ ربّهما ـ وكما يزعمان ـ

أوجد الطبقاتِ: الفقير ـ الثرى

والثريّا ـ الثريّ

فلا بّد أن تستريح الأكفُّ

التي خلِقت من جليد!

* * *

آدم إفريقيا بعدما شرب الماءَ

راحَ يُحدّقُ في الربّ

يسأله طبقاً من فُتاتْ

وبما أنه ظلَّ يسأل.. يسأل

حتى تأكّد ـ راح يحدّق في

اللافتات:

«صوموا تصحّوا!» صامَ حتى كادَ..

ثم لاح له غزال..

(عين الغزال الربّ أتقن صنعها

ليؤدّب المغرورة امرأتي!)

بالمناسبة: امرأة آدم لم يكن

اسمها في البطاقة

حواء! ـ

وقفَ الغزالُ ـ النبعُ بينهما ـ

وآدمُ عاشقٌ عين الغزالِ

أيُقتلُ العشاق؟ لا..

القصر يطلب خادماً!

سمع الخادمُ آدم سيّده

يطلب من سيدته

أن تأمر خادمها أن يبدأ خدمته

في اليوم

الأول من خدمته في القصر

بأن يمسك

سكّيناً..

(كان بباب المطبخ مشدوداً

بحبال الأسر..

...... غزال!)

* * *

العبودية ابتدأت

في الجيوش القديمة:

قائدٌ و...... جنود

سيّدٌ راكبٌ والـــ مُـ.. شاة!

* * *

بعدما طرد القصر

خادمَه آدمَ المتمّردَ..

للعلم: آدمُ همَّ بذبح الغزال..

ولكن سكّينه ارتعشت.

صار مقبضها بارداً

مِن تعرّق آدمَ.. فانزلقت..

همّ ثانيةً ولكنّ عين الغزال..!

أمسك آدم سكينه دونما رعشةٍ..

قصَّ حبلَ الغزالِ

وراح يفتش في الجيش عن لقمةٍ..

* * *

رآه عريف الجنودْ

طويلاً، مهيباً وعيناه نارّيتانِ

لا قلب للسودِ! قال العريفُ

أتبحث عن رتبةٍ عندنا؟

....

تدرّب آدمُ حدّ المماتْ

ركّضوه إلى آخر الأرض

أعطوه اسماً جديداً «1753» *

قصّوا له شاربيه

وأعطوه قِطـّاً رضيعاً ليخنقهُ بيديه!

ولمّا تردّد بالوا عليه!

ولمّا تقزّز شدّوا يديه

وراح العريف يجرّب سوطاً جديداً

يصعدّه للنجومِ.. ويهوي عليه!

وقعت حربٌ أولى: والأسبابْ:

أنّ ذباباً عَبَرَ الحدّ الفاصلَ

بين الدولة (ط) والدولة (ز)

لا تحاول لصقَ الحرفين! ـ

.. فاتهمتْ هذي

تلكَ بتصدير الأمراض إليها

عن قصدٍ! ـ

واجتمع الضباطْ..

وأقرّوا ـ باسم الشعبِ ـ

الحربَ على الأعداء!

((للعلم: قرارُ الضباطْ

تمّ قبيل الفجرْ..

أي في فترة نومِ الشعبْ!)

وأفاق الناسُ على الحربْ!

((سنؤجل قصة آدم في الحرب الأولى حتى نستكمل

بعض التفصيلات هنا وهنالك أو بعض النقصْ

حتى نتلافى شكّ النقاد بصدق النص!))

....

والعبودية ابتدأت بالزواج..

نعمْ بالزواجْ:

كانَ آدمُ أدمْ

ولمّا تزوجَ صار أقلّ..

وكان شجاعاً فصار أقلّ..

وكان عنيداً فصار بليداً!

وكان وكان فصار وصار..

ولكنّه ـ رغم أنف الزواجِ ـ تبقّى له

بعضُ ما للرجالْ!

وفي الجيش ـ وهو يهرول ـ قالْ:

عريفٌ هنا وعريف.. هناك!

* * *

أمروا آدمَ أن يتقن آخرَ مرحلة

للحرب الأولى

ومهمّتهُ تتلّخص في خنق الأسرى!

وبما أنّ التدريب على خنق القطـةِ

لم يتعثـّر بالمقدار الكافي

راح يدرّب كفّيه ـ قبيل النوم ـ

على كتم الأنفاس.

رغم الفارق بين صراخ القطـّ المخنوق

صراخ الناس!

....

لكي يُرضي القدّيس الواقفَ

في استعلامات الجنة،

حجّ إلى بيت المقدس في شيخوخته،

كمسيحيّ أسود!

وأندسّ مع الحجّاج الصوماليينَ

(بجواز جيبوتي!)

ليحُجَّ.. ويضمنَ تأييد الأديان الأخرى!

اقتباس أخير:

«يزعم السود الأمريكيون أنّ آدمَ بعدما ضمن بوابتين تقريباً لدخول الجنة، ظلّ يحاول إقناع القديس بطرس والمسؤولين البيض الآخرين بقبول التماس زوجة آدم البيضاء بالسكن مع زوجها في جنّة السود.. وعلى مسؤوليتها الخاصة!...

أ.هـ

*** رقم الهوية التقاعدية للشاعر**

ما لا يُشبه
الأشياء

قصائد طوال

ستعود الريشة للطائر ومريم.. لنا

خارج الحدود.. داخل المتن:

رصد عابرون يوميّون، مشهد العجوز الأفغانيّ
الذي كان يخرج من حقله إلى سوق القرية، تاركاً
زوجته تتقدّمُه في المسير. وقبلَ أن يلتقي أحدٌ
بالعجوز الأفغاني، طارت ظنونٌ كثيرة من الصحفيين
الغربيين، على شكل ريبورتاجات، إلى صحفهم
ومحطاتهم؛ البعض زعمَ أنّ العجوز، لابدّ،
شيوعيّ سابق من أعوان (بابراك كارمال)..
وهو الآن شيخ طريقة.. ماركسيّ!.. فنحن
جميعاً نعرف، أنّه في العالم الإسلاميّ كلّه
لا يُسمَح لحرمةٍ بأن تتقدّم فحلَها في المسير،
فكيف في أفغانستان، حيث لا تجرؤ شعرةٌ
من رأس امرأة يُحرّكها الهواء، فتسبقَ

صلعةَ زوجها المغطاة، من أجل الستر،

بعمامة! كيف وهذا الأفغانيّ يسمَح

لزوجته بأن تتقدّمه بعشرة أمتار كاملةٍ؟

.. وا إسلاماه!

رؤوس أقلام حول نظرية اختراع القلم الأوّل وتزييف الحقائق بـه:

نون والقلم..

طيرٌ يمتحن الريحْ

هل تحملُ أثقالاً، أثقلَ مِن مثقالْ؟

ريشٌ وعظامٌ فارغةٌ،

ما أثقلَ أثقال الطير!

كان جِلدٌ يُجفَفُ بالملح تحتَ الهجيرْ

كان جلدَ غزالْ

يومَ كان الغزالُ.. غزال!

رجلٌ مغرمٌ بالكتابة، لكنّه لم يجدْ قلماً

مغرمٌ بأصابعه،

ويُحب اختلاقَ الأسامي لها.

صيّادٌ يشحذُ سهماً، ويُحرّضه ضدَّ الطير.

شاعرٌ، لم يَتلقَّ الكتابةَ عن معلّمهِ

ولذا.. يحبسُ الشِعر في رئتيه.

صحفيٌ يُعلّب الحربَ في الكاميرا..

ويُسوّقها لمحطـتـه.

طفلة عراقيّة. تدعى (مرّيم حمزة).

عمرها أربع سنين.

مصابة بسرطان الدم. توجّهت عائدة

إلى بغداد بطائرة استثنائيّة.

بصحبة النائب العمّالي البريطاني.

السيّد (جورج غالوي)

بعد أن اكتمل علاجها في لندن..

* * *

رؤوسٌ ليست لأحدٍ من الأقلام:

السهمُ على وشك الاستجابة لتحريض الصيّاد لهُ.

جلد الغزال جفَّ بملحه تماماً

تحت الشمس.

الطير ما زال يغرف الهواء بمجذافيه

في نهر السماء.

أصابع الرجل المغرم بالكتابة

تزيح الملحَ عن جلد الغزال..

صحفيّ الـ CNN.

يسحب أقسامَ كامرته (الكانون)..

صورة مقرّبة لمريم..

وقد فقدت شَعرها تحت العلاج.

العجوز الأفغاني.. لا يعيننا الآن!

نون والقلم..

غصّ الشاعر بقصيدتِه الأولى:

زعموا أرضَ الله لنا واسعةً

نحن الفقراءْ..

حتى نتشرّدَ فيها،

وتظلَّ لهم!

الصيّاد..

أطلقَ سهمه شكوى، من الأرض كلّها،

مثلَ ضرسِ جوعٍ.. إلى السماء.

صحفيّ الـ CNN.

يسأل أمّ مريم عن حقيقةِ

قصّ العراقيات لشعرهنّ عند الضيم..

ثم يسأل مريم:

كيف ستتصرّفُ،

وهي لا تملك شعراً الآن؟!

* * *

تَرنَحت من السماء ريشةٌ كبيرةٌ

من الطائر القتيل..

كانت الريشة تزعزع بعض الهواء

إلى الأسفل..

ويزعزعها هواءٌ آخرُ

إلى الأعلى.

مثل ريحٍ في مهبِّ الريشة!

.. الريشة تحفر لنفسها مكاناً آمناً

.. للسقوط!

الريشة كانت تنقـط دماً.. للكتابةِ

كان دمُ الطائر في الريشةِ

(آدمَ) الحبر الأحمر،

ومبتدا خليقة الحروف.

الكاتب المغرمُ بالكتابة،

المغرم بأصابعه، وباختلاق الأسامي لها:

رفعَ يديه إلى الأعلى،

كأنه يطلب من ريفيّات الهواء،

الخفيّات هناكْ،

أنْ يغزلـنَ من يديه سلّةَ أصابع،

تنقذ الريشة المدمّاة

مِن سقوطٍ

قد يثلِـم سنَّ كتابتها،

فلا تكون جديرةٍ بقلم!

ناحَ الشاعرُ قصيدته الثانية:

هل الطيور،

رسائلنا إلى السماءْ؟

أم رسائل السماء إلينا؟

....

هذا العجوز الأفغانيّ، ليس مسلماً

بكل تأكيد..

فقط، لو مسحنا لحيته عن وجهه،

وحلَقْنا عمامَته!

هكذا جمد الصحفيّ لحمَ تقريرهِ

إلى الـ CNN.

....

ظلَّ الجلدُ المجفَّفُ،

يرقد ساكناً..

مثلَ أيِّ غزالٍ.. سابق،

يتذكّر الغزالَ الذي كان يملؤه!

* * *

مريم..

تتأمَّلُ متشكّكةً خجلى،

في شيءٍ، قدّمته إليها المُضيِّفةُ الشقراء..

مريم..

تهمّ بأن تعيد الشيءَ إلى المضيّفة،

لأنها لم ترَهُ من قبلُ

ولا تعرف طريقة استعماله ـ

أمّ مريم تهمس لها:

لا تخافي.!

إنها زجاجة ((ماء فرات!))

....

الكاتب المغرمُ باختلاق الأسامي،

أمسكَ ريشة الطائر المدماة

ثم غمسّها بدواة الدم،

الموجودة بين جناحي الطائر القتيل.

الريشةُ صارت (حوّاء) الأقلام

وأمَّ خليقتِها الأولى!

صحفيّ الـ CNN.. استعار ريشة الطائر،

وراح يجري حديثاً في الجوّ،

مع السيّد (جورج غالوي)، الذي استضاف مريم.

متحدّياً زعيم حزبه السيّد ((بلير))..

عن الدعم الذي ستقدّمه الاستضافة

لأطفال العراق كلّهم.

فلاش بـاك:

في العام (1975) كان هناك (كاظمٌ) آخر:

أسودُ شَعراً منّي، وأكثر جرأةً، وأغنى.

بحيث كان يجرؤ على السفر سائحاً، حتى إلى

باريس نفسها!.. وفي طائرة الخطوط الجويّة

العراقيّة. التي ارتفعت توّاً عن بغداد.

كان طفل بغداديّ ـ في عمر مريم ـ..

يُؤنّب أمّه ـ ويقصد أباه ـ:

ذبحتونا!..

باريس! باريس!

ولا مرّة شفنا روما!

* * *

بعدما اكتمل القلم الدمويّ الأول،

راح الكاتب المغرمُ بالأسامي، يختلق أسماء أصابعه

ويكرر تسلسلها، حتى لا ينسى،

فتختلطَ عليه أصابعُه،

إذْ كلُّ شيء في هذه الأيام جائزٌ

.. وابنُ كلب!

خنصر..

بنصر..

وسطى..

سبّابة..

إبهام..

* * *

الصحفيّ الغربيّ الوحيد،

الذي كان يجيد الفارسيّة الفصحى،

التقى بالعجوز الأفغاني وسأله:

أغاي! Are you على خلاف مع «مسلمان»؟

وهل تؤيد المستر «سلمان رشدي»؟

———————

العجوز صاح بزوجته التي استمرت تسير

قدّام زوجها ولا تعرف أنه قد توّقف.

الصحفيّ:

في كلّ بلاد المسلمين يسير الرجال قدّام زوجاتهم،

إلا أنت. فهل أنت تقدّميّ؟

العجوز قال:

في بلاد المسلمين الأخرى، آغاي.. لا توجد ألغامٌ أرضيّة!

* * *

كتبَ المغرمُ بالكتابة، يجرّب ريشته المدمّاة:

يمكن إجبارُ الأقلام على الكتابة

لا إجبارُ الكتّاب!..

السبّابة والإبهام: اختطفا الريشة التي سقطت

من الطائر القتيل. وأناماها على (الوسطى)..

صار رأس الريشة ـ القلم منكّساً ـ من أجل الكتابة ـ

على جلد الغزال.

الإبهام.. ضغط على عنق القلم وقال:

أكتبْ شيئاً (مبهماً)!

السبّابة قالت: سُبَّ قدر ما تستطيع!

الوسطى: كن وسطاً يا بنيّ. وحاذر أن تنحاز!

الخنصر والبنصر، كانت مهمتهما أن يُخنصرا ويبنصرا القلم.

لمنعه من الكتابة على جلد غزاله الخاص!

* * *

الشاعر عادَ يُعاني من حبس الشِعر في رئتيه

بعدما تخلّى عن الريشة المدمّاة:

سأصنعُ بالشعر ماسحةً للمصائرِ

أمسحُ موتَ الغزالْ.

أنفضُ الملحَ عن جلدهِ،

وأسألُ ـ بل أتوسل ـ عينيهِ

أن تبرقا من جديدٍ، كعيني غزالْ

وأعيدُ إلى الطير ريشته،

وأرجوهُ ـ لا بَلْ أقبّلُهُ ـ .. كي يطيرْ

لأُبَرِىءَ أقلامَنا

مِن دمٍ.. يَتخثّر فوقَ الضمير!

———

سأصنع بالشعر ماسحةً للمصائرْ

أمسحُ السرطانَ عن دم مريم..

وأعيد لها شَعرها.

وأصُفُّ الأراجيحَ للشهداء الصغارْ

ثم أغسِلُهم ـ لا أغسّلهم ـ.. بالفرات!

كي أعوّضَ أعيادَهم.. وأعيدَ الحياة؛

إلى الشهداء الكبارْ.

كي يَهزّوا أراجيحَ أبنائهم

وليهزّوا نخيلَ العراقْ

فكفى دمَه أن يُراق!

____

هذا الوطنُ المحسودْ

الوطنُ ـ التفاحةُ..

يحميه الله.. مِن الدود!

عمّان ـ 1998

(ما لم يترجمه طه باقر من اللوح العاشر)

ارجع إلى «أوروك»!

واسألْ أمّكَ «ننسون» سليلةَ الآلهة

أن تفتحَ فاها، وتُكلّمَ أربابَ أورك الخالقين:

لا تُجهدوا أيديكم المقدّسة،

لِتخلقوا جراداً، لزرع أوروك!

ولا ذباباً، لتمرها.

ولا قملاً لرؤوس فقرائها!

بل اجمعوا الطينَ الذي منه تريدون

خلقَ الجراد والقمل والذباب،

واصنعوا منه أرجُلاً

لِمن مسختموهم عُرجاً من أبنائها،

وعيوناً، لمن أولدتموهم بلا عيون..

وَلتَسألْهم سليلتُهم أمّك ننسون:

ألاّ يبخلوا بالقوّةِ على رجلٍ

ويضعوا قوّتَهم في خنزير الأهوار!

فكفى أروكَ أناساً بلا أرجل أو عيون

وكفى خنازيرَها ضحايا!

ولتسألهم أمَك الحكيمةُ،

لا يكونوا على القرى أقسى من شيوخها

وأبطشَ مِنْ عُتاتِها..

ولا يكونوا آلهةَ شرور ورزايا؛

تُؤنسُهم زلازلهم،

يقلِبون بها قدور الفقراء على نيرانهم،

ولا يُمهلونَ أمّاً،

لِتُكمِلَ سحبَ الغطاء على برد صغارها.

ولتسألْهم:

لا يفرحوا بقحطهم وجفافهم،

يُغضّنون به خدودَ أرض أوروك،

ويحبسون فراتَ السماء عن قمحها!

وَلْتُخاطبْهم ـ بلا مواربةٍ ـ ننسون:

أنْ يعيدوا الإله إلى صدور كهنة أوروك

ولو بالسياط ـ

كما أدخلَ الكهنةُ الإلهَ إلى صدور الناسِ

بالسياط!

((هامش كهنوتيّ:

في أحد الأديرة النائية، توفي كاهنٌ.

فعلّق الديرُ رقعة رثاء سوداء مكتوب عليها:

«في الرابعة فجراً. غادرنا إلى السماء الأخ «بيير».

فله الرحمة!»، وعند الظهر مرَّ عابرٌ خبيثٌ

ـ ولعلّه ملحدٌ ـ فأضاف إلى الرقعة ما يلي:

«السماء، في الواحدة ظهراً. «بيير» لم يصلنا

لحدّ الآن. نحن قلقون!»))

.. لا تبرح أوروك!

فلا أمانَ لك على ظهر حصانٍ،

وإنْ يكنْ أبيضَ الغرّةِ، ناصعَ الأبوينْ..

ـــــــ ـــــــ ـــــــ

ولا تَعبرِ البحرَ،

كلُّ البحار، فناراتها لا تَهدي سفنَ الغرباءْ

وفي تخوم موانيها شرورٌ ملثّمةٌ.. بالمرجان!

وغدرٌ، مخبّأةٌ مقابضُه تحت الآباط!

ولا عهودَ هناكَ، تُخجِلُ السيوفَ مِن الرقابْ

وتحقن الدماءَ.. ولو عن نبيّ!

ـــــــ ـــــــ ـــــــ

وإيّاكَ أن ترفع شراعاً،

يُكفّن الماءَ مِن حولك

ويَملأهُ نوارسَ كاذبةً،

تبدّد بالمجذاف!

لا تعبرِ البحرَ،

ولو على ظهر سفينة» أوتو ـ نبشتم» القصيَّ

سفينته المطليّة بالقار

والتي طولها ثلاثمئة ذراع..

((هامش بحريّ:

في مكتبة «شركة أتلانتيك الأمريكية للتأمين البحري»

معلومات جادة عن سفينة (نوح) وكما يلي:

«بُنيت عام 448 ق.م من خشب جوفر.

وطليت بالقار من الداخل والخارج (وهذا ما يؤكّد عراقيتها ـ

ملاحظة من الشاعر). طولها ثلاثمئة ذراع.

صاحبها نوح وأولاده. آخر أخبارها:

أنها جنحت فوق جبل أرارات.»))

لا تبرح أوروك!

فلن يحتاج الأمر إلى «أوتو ـ نبشتم» القصيّ.

فعشبة خلودك التي إليها تسعى،

نابتة هنا، في بساتين أوروك.

وتحت أسوارها تنطرحُ جثثُ الأجداد،

خالدةً.. في الدود!

ـــــــ ـــــــ ـــــــ

لا ترفعْ أسوار أوروك بعدُ!

ِلْ وطىءْ بيديك المشعرتينِ

أسوار مدينتك!

وارفع قامات أهلها، يصيروا أسوارَك!

فليسَ سورٌ من حجرٍ، أمنعَ من سورٍ من رجال!

سجّلْ كلّ أبناء أوروك أبناءك.

إنْ لم يكونوا من نسلكَ

فمن نسلِهم أنت تكون..

يتقدَّسْ بكم ترابُها الذي منه جُبلتُم جميعاً.

وعَمّرْ أبواقَ أوروك من جديد

وأملأها بالتمر والبقول والسمك.

وأهوارها غيِّمْها بالطيور!

تُعشَش آمنةً فوق ظهور الجاموس!

واستخرد المسك من ظباء أوروك الشاردات

وتطيّبْ به،

وطَيّبْ ثيابَ رجالها ونسائها

———

وذلّلْ صغارَها، كما لو من ذرّيتك يكونون.

فأنت مليكُ وراعي أوروك

وكلُّ مولودٍ تحت عرشكَ، إبناً لك يكون

———

لكنَّ أمّهات أبنائك هؤلاءِ محرّماتٌ عليك!

———

فإن شئتَ أن تكون لكَ امرأةٌ

تضيءُ فِراشك، وتُصبِّح مَساءك،

فاسع إلى ابنة مليكِ آخر، من بلد قَصيّ

واخطبها لنفسك..

فبنات أوروك بناتُك

بينهنّ وبين مليكهنّ حَدُّ الزنى!

———

اخترْ لك من بين النساء البعيداتِ جاريةً

مِن هناك،

وَلِيَكُنْ شَعرها أطولَ مِن ليل المهموم!

وأنعمَ عسَلٍ محروسٍ بشموع الخدّينْ.
لا يُعطّل غنجَها حياءُ الأمَةِ من مولاها
ولا حشمةُ العابدةِ من معبودها!

———

تمسَحُ فَراشةَ ملمسِها بيديك المشعرتين،
وبيديها البيضاوين تُشفّفُ لكَ قتامةَ أساك
وجهامةَ رجولتك،
وَتُحِلُّ الحرَام مِن عريك!
في بستان أنوثتها تُبارِك حرثَك
وتبذِر بذارك،
ثم تقطفه طفلاً، يتطفّلُ في مهد يديك
ويَلثغُ اسمَهُ في أذنيك
ويُسمِعَك أحلى مزامير ثغائه..

———

((هامش للأطفال:
«كلُّ مولودٍ جديد.
يأتي حاملاً رسالةً تقول:

إن الله لم ييأسْ بعدُ من الإنسان!» ـ طاغور ـ))

لا تبرحْ أوروك!

بلْ تَفتّحْ في أهلِها عن مليكٍ مُرسَلٍ

مِن أربابك إلى رعاياك

ولا تفتّحْ بينهم عن.. إله!

فما أراك يا ولدي جديراً بوحشةِ إله!:

لا تجدّد السماءُ مِن حولِك هناك..

لا تُكلّم أحداً،

ولا يُكلّمك أحدٌ رهبةً منك.

لا تقدِر أن تدخلَ الحاناتِ

ولا تضرِبُ في البراري،

صعلوكاً حيثما تشاء:

تستعير نايَ الراعي،

وتنفخ فيه أحزان الرعاة،

تتمايل الشياهُ من حولِك وترتبك الذئاب!

——————

ما أتعسَ ما يتحملّهُ إلهٌ يا ولدي!:

أملاكهُ كلُّ الأرضِ وكلُّ السماء؛

مفرّقةٌ بين عبادهِ،

ولا كيسَ نقودٍ لدية!

———

قريباً مِن الغيوم السود يكون

وقريبةٌ منه العواصف والبروق!

لا تخترْ وحشةَ إله يا ولدي!

بل خيرٌ لك أن تكون بشراً مع الناس

ولا إلهاً وحدك.. هناك!

وكما نعى الإغريقُ على آلهتهم؛

لا تجعل أهل أوروك

يرفعونَ شرور الأرض إلى عليائك

وينسبون إلى يديكَ الخالقتينِ

قبحَ مسوخهم،

واحتباسَ بطون نسائهم،

واندحار غلّتهم أمامَ جَرادك

وخسران حروبهم أمام حيادك..

((هامش حربيّ:

عُرِف عن جنرال أمريكيّ ـ لا أتذكّر اسمه الآن ـ شهرتهُ

في الخطابة. وبَث الحماس بين جنوده في أحلك الظروف.

وفي أثناء الحرب الكوريّة. حوصر اللواءُ الذي

كان يقوده. فوقف الجنرال خطيباً في جنوده المرتبكين الخائفين:

ـ أبنائي!.. إنّ العدوّ يحيط بنا منَ الشمال ومن

الجنوب. ومن خلفنا ومن أمامنا. ولهذا.. أطمئنوا!..

فهو لنْ يهربَ منّا هذه المرّة!))

لا ترحل عن أوروك!

ولا تبحث عن عشبةٍ لدى «أوتو ـ نبشتم» القصيّ.

فأنت تعرف أنْ لا خلودَ لك إلاّ في أوروك.

فَعدِّدْ نسلكَ فيها:

بشَراً وبيوتاً وبيادرَ قمحٍ.

ونخلاً تقوّي عروقُه هشاشةَ أرضك.

وجاموساً يُخلّد أظلافه في الطين

وسدوداً تُنِسىء الماءَ ليوم الحاجة..

وتحمي بيوتَ أوروك من كرَم الفرات!

وطيوراً تمسَح الوحشةَ عن السماء

وتُبعِد الحرَجَ عن موائد الفقراءْ..

وقبل أن تعودَ إلى أوروكَ

تعالَ إلى حانتي الآن..

وَخُذْ منها حكمة الملوك:

أترِعْ كأسك، يتبخـَرِ الحزنُ مِن رأسِك

نازلاً إلى قدميكَ،

حتى أنك تدوسُه لو تشاء!

وانظر إلى شحّاذ أوروكَ

يجولُ في أسواقِها دلاّلاً ينادي على كرامته!

يبيعُها برغيف!..

يُهان مرَّةً ـ ويُعطى أخرى

وهو حين يُعطى.. يهان!

انظرْ إليه جين يجيءُ حانتي بعد الغروب:

أوصيتُ نادلي،

أن يهيئ للشحّاذ أكرَمَ موائدي

ويحيّيه: يا سيّدي!

وحين الشحّاذ ينهي كؤوسَه ويؤذن بالرحيل؛

أشير إلى نادلي - سِرّاً -

بأن يطالِبه بعطيّة الشاربين للساقين..

أفتعرِف يا ولدي،

كيف يستردّ شحّاذٌ كرامتَه، حينَ يُعطي؟!

لا يَخرج الشحّاذُ مِن حانتي

إلاّ متعثراً بكرامته الجديدة الطارئة،

كما يتعثّر الفقير بثوب أعياد الأغنياء!

وانظر إلى رجُل أوروكَ

الذي امرأتُه تهينه كلَّ صباح:

لا أترك النادلَ يخدمُهُ،

بل، بنفسي أقومُ على خدمتهِ،

أعوّضه عن جحود امرأته!

وأدير ظهري ساعةً لِكلِّ مَن عداه..

وحين الرجلُ يُنهي كؤوسَه ويؤذن بالرحيل؛

أضعُ على خدِّهِ قبلةَ أختٍ لأخيها،

وأتركُ له أن يراها غيرَ ذلك!

———

تعالَ إلى حانتي يا ولدي!

ومنها تتعلّمْ حكمةَ الملوكِ.. مع الرعايا!

البصرة ـ 1999

سفر المرايا

في المرايا:

أرى أيَّ شيءٍ.. سواي!

فأنا - مذ ولدتُ - أفتّشُ عن جسدٍ

قد يليقُ بروحي!

شموعي ضحايا عواصفكم،

والنوافذ مفتوحةٌ من جروحي.

وأنا عابدٌ - رغمَ كفري بكم.

فآلهتي ضيّقونَ عليّْ.

في المآتم أستنشق حزني،

وأنا أتنفّسُ للميّتين!

عِدّتي للحياة.. مماتي!

مثلَ جُرْوٍ، أتشمَّمْ يوميَ منذ الصباحْ؛

هل يليقُ بيومي؟

كبيرٌ أنا، مثل صِفر اليمين.. أكَثِّرُ غيري!

في بلادي أحاولُ.. لكّنني لا أتوه

فالشوارعُ تعرفني،

والزوايا زواياي،

في غربتي:

أتوهُ، قبيل محاولتي!

* * *

عِلّتي أنني سريعُ التقدّم في السِنِّ،

فمنذ الرضاعةِ

أصبحتُ أكبرَ.. مِن حزنِ أمّي!

أبي (آدمٌ)..

وبغداد (حوّا)..

فمِن أيِّ صوب يجيءُ جنوبي؟

ومِن خوفِ أيِّ جحيمِ

تتوب ذنوبي؟!

بلاديَ (أحمرُ) من جُرحِ وجهِ الحسينِ

، (المضرُ) مِن سعفِ نخل الجنوبْ.

أبي مات منذ شهورٍ

ولن أدفنهُ،

فأنا مؤذّنهُ.. وأبي مئذنه!

أبي..

لا مجالَ لهُ أن يصير عظيماً،

أبي..

لا مجالَ له أن يصير جليلاً،

لأنّ أبي كانّ «عبدَ» الجليل!

أنا ـ منذ خمسينَ عاماً ـ

أمشّط وجهَ «بلال» الصحابيّ

كلَّ صباحٍ،

وشَعر ابن أختي، الذي اغتيلَ

في ثوبه المدرسيّ.

وأنا الآنَ أحشو المدافعَ أبناءَ..

لكنني..

لا أطيقُ شهيداً يخرّ إلى الأرضِ

———————

كلُّ شهيد لديَّ.. سماءْ

وَلِكلِّ عدوٍّ أنا.. أصدقاءْ!

أنا ابن أبي الأنبياء

الذي قدَّسَ الأرضَ مِن «أورِنا»،

إلى «أورشليم»،

فلماذا أنا، في المرايا،

أرى أيّ شيءٍ.. سواي!؟

* * *

ساءلتْ عن نحولي..

وأنا ـ مذ ولدتُ ـ أفتش عن جسدِ

قد يليقُ بروحي،

قلت:

خيرُ الرجالِ ما قَلَّ مثلي ودَلَّ!

أمامَ المرايا: الشموعْ

تتزوَجُ شمعاً، يقابلها

و أمام المرايا: العوانسُ..

لا تتزوّجُ إلاّ عوانس!

عاشرتُ آلهةَ الأوّلين:

رأيتُ إلهاً يُدلّل (أبناءه)

ويختارُ (شعباً) له!

ويُهمل أبناءه الآخرين!

ورأيتُ إلهاً، يقود الأعاصيرَ

ضدّ الخيام!

وإلهاً يوّصي الزلازلَ بالفقراءْ!

وآلهة تتعطّر فوق الضحايا،

وإلهُ المطر:

يُهمل إفريقيا كلّها

ويُمطِر فوقَ المحيط!

وآلهةً طيّبين:

يخوضون في الوحلِ، دون العباد.

وآلهةً تسرق النار للناسِ.. كي يطبخوا!!

ولذا..

حين صلّيتُ ـ

لم أتوضّأ بماءٍ، يُزكّي يدَيْ،

فآلهتي..

ضيّقونَ عليَّ!

* * *

في الحروب التي لم تقعْ:

سيسقط أطفالُنا شهداءَ السلامِ

قبيلَ الفطام.

ونحن سنسقط أسرى

سواءٌ لقيصرَ، أو عند كسرى!

والنساءُ:

سيسقطنَ.. جدّاً!

ولذا..

فأنا عدّتي للحياةِ.. مماتي!

* * *

مَن همو عن يساري،

كثيرونَ عَدَّ الهمومْ!

وأنا نجمةٌ في مداري

وهمْ يكثرون ولا يخجلون..

كَبيرٌ أنا ـ مثلَ صِفر اليمينِ ـ

أكثر غيري!

* * *

تغرّبتُ في مدنٍ أهلُها غرباء!

مدن ناسُها لا تردُّ السلام

وتُلقّحُ أبناءها في المدارسِ

ضدّ الغريب!

وأنا لا أبالغُ واللهِ

حتى المرايا هناكْ

تزّيفُ وجهكَ أنتَ،

ففي الصبح تحلق لحية غيرك

وتمشّط شَعر سواك!

* * *

ومذ كانَ شعري طويلاً وأسودَ

كان المُعلّمُ يحني أصابعَه فوقَ رأسي

رسالةُ العين

«إذا رأيتَ سواداً بليل. فلا تكن أجبنَ السوادين.

لأنه يخافك كما تخافه.»

حديث نبوي -

عينُ الأعمى تصغي، والخرسان تثرثر بالأيدي!

و «المستورُ «يرى عورته في الآخرَ.

والأحولُ معذورٌ، أنْ يُبصر يومَ «الأحَدِ «،

يومَ الاثنين! «..

(كاف. هاء. ياء. عين..)

العين الأبعدُ مِن كلِّ البعد، والأقربُ من كلِّ القرب:

عينُ الله..

والنجّارُ لهُ عينانِ، ومسماران..

والحوتُ له عينان:

اليمنى للشاطئ واليسرى للآخر..

لم يُبصر «آدمُ» عينَ الله.

لم يكسِر عينيهِ أمام العين الأبعد والأقربِ

إلاّ الإنسان..

..لكنْ كلّ محيطات الدنيا ـ

هل يجرؤُ صياد الحيتانْ

أن يفتحَ عينيه بعينِ الحوت؟

والخوفُ عمى، والنجّارُ له مسماران:

مسمارٌ للمهدِ.. وآخرُ للتابوت!

مات الجنديّ بلا حرب.

مات الأطفال بلا أعمارْ!

مات النجّارُ.. بلا تابوت!

يا بنتي! يا حبّابةُ!

ما عدنا نحتاج إلى أسبابٍ.. لنموت!

البنت ـ المرآة..

مرآةُ الحمّام. تعمى ـ سبحانَ الله ـ

عن عري البنتِ العذراء!

بنتي الحبّابة عافاها الله! ـ

وبخارُ الحمّام يُخجِّلُ عينَ المرآة..

في مرآة الحمّامْ،

يُبصر «آدمُ» ـ أيّاً كانْ ـ

عورتَه في البنت..

والعينُ الأبعدُ تدنو مِن «آدمَ»، أو من صياد الحوتْ،

أو يدنو منها، لا فرقَ كبيرٌ،

.. فالخزيُ عَمى!

قبورنا الأولى بطونُ الأمهات.

والسماءُ ثيابُ اليتيمْ،

الغيمُ يرقّعها حتى في الصيف!

نحن الفقراءْ:

أجّلْنا أكلَ التفّاح إلى الجنّة!

———

خرجَ «أبو يزيد البسطاميّ» حاجّاً..

وفي الطريق رأى سواداً بليلٍ..

وعافاه الله..

لم يكن أجبنَ السوادين..

———————

النبعُ ـ العين..

وغزالٌ يغزِل قامَتهِ للشرب

الغزلان تموت وتحيا بين الرمشين!

يا عيني! يا أبنائي، يأكُلَّ الغزلان!

———————

أعمارُ الغزلان رهائنُ

بينَ الأعينِ ـ أعينها ـ.. والآذان!

وعيونُ الغزلانْ:

أحلى مَن يضحكُ، إذ يبكي!

تبكي الغزلانُ إذا حاصَرها وحشٌ.. أو صيّاد. ـ

———————

وتكشّفَ سوادُ الليلِ عن رجلٍ.

وقال الرجلُ للبسطاميّ:

إلى أين إن شاءَ الله؟

فأجاب أبو زيد: أقصدُ بيتَ الله..

وسألَ الرجلُ البسطاميَّ:

كم معك؟ أجابَ: مئتا دينار...

في نبعٍ قربَ «جَنين»:

أبصرتُ غزالاً. و«النمر» يخاتلهُ قربَ النبعْ..

النمر يُهَيِئ آلته للقتل..

النمرُ يصوّب آلته..

والظبيُ يُحدق فيه!

———

الجنديّ يُحدّقُ في عين الطفل.

«الظبيُ» يهزّ حجارتَه في وجه الوحش..

والنبعُ يغطيه.. دخانُ الدبّابات!

———

أمّا في رواية «المسيح يُصلب من جديد»،

فيذكر «كازانتزاكيس» أنّ راهباً تقياً ـ لم يذكر أسمه ـ

خرجَ حاجّاً إلى بيت المقدس..

———

تكسو الغزلانَ ثيابُ العري الأوّل.

والإنسانُ «المستورُ» يُعرّيه العار!

.. وقال الرجلُ للبسطاميّ:

معك مئتا دينار. وأنا لديّ عيالٌ كثيرٌ،

ولا دينار لديّ. وراهب «كازانتزاكيس»

أجابَ الرجل الذي سأله: إلى أين يا أبانا؟

إلى القبر المقدّس يا أخي. في أورشليم..

كم معك يا أبانا؟ ـ ثلاثون ديناراً..

(كاف. هاء. ياء. عين..)

سأصلّي للعين الأبعدِ مِن كلّ البعد.

والأقرب مِن كلّ القرب:

يا ربّ! أعد هذا الكونَ المهزوم،

لِزمان الأزمانِ قُبيلَ البارود!

ما قبّحَ وجهَ الكون سوى البارود! ـ

الغابات العذراوات تعودْ

والأنهارُ الأولى، والأقزام السبعةُ

والبنتُ البيضاءُ، بياضَ الثلج (سنووايت)..

———

يا ربُّ!

أعد أرواحَ القتلى والقديسينَ الشهداءَ

إلى هذي الدنيا..

واجعلنا نخجلْ منّا في المرآة..

* * *

الطفلُ يَرى. لكنْ.. لا يسمعْ!

ولهذا.. فالملعون هو الأشجعْ!

الحربُ سجال! (قلنا بعد حزيرانٍ وجَنينْ)

طفلٌ شيطانٌ قالْ:

لو كانت حرباً، ما بين رجالٍ. ورجالْ!

———

وأنا. يا بنتي!

لَبَني يأبى أن يَتزبَّدْ..

خضّي أزيَدْ! يا عَمتنا. خضّي أزيَدْ!

• يذكر الموروث الصوفي أنّ (أبا يزيد البسطاميّ)

أعطى كلَّ ما معه للرجل الفقير، وطلب منه أن يقفَ

ثابتاً ثبات البيت الحرام، ثم راح يطوف حول الرجل

سبعَ مرات. ورجعَ إلى أهله حاجّاً!..

أمّا الراهب اليونانيّ فلقد طاف حول صاحبه ثلاثاً.

على ذمّة كازانتزاكيس... والله أعلم!

لو أملك مصباحاً سحريّاً يا أمّاه!

لأقايضَ جَنِّيَ «سليمانَ» المحبوس:

يا جنّيَ المصباحْ!

لبّيك!

امسحْ موتَ الأطفالِ مِن التاريخ!

لبّيكَ!

أعدْ وجهَ الإنسانِ إلى المرآة!

لبّيك!

أعدْ أنيابَ الوحش

إلى الغابات!

لبّيكَ!

امسحْ عن مرآةِ الكذابينَ بخارَ الماءْ

وليُبصرْ كلٌّ عورَتهُ..

لبّيكَ!

إشحذْ سكّينَ البيتِ،

وثلّمْ سكينَ الجزّارْ!

.. سكّينُ البيتِ أقلُّ دماً!

لبّيكَ!

اطفئْ بركانَ الحرب، وأوقِدْ للخبزِ التنّور!

لبّيك!

اجعلْ عين الصيّادِ الأعمى،

تخجلْ من عين الحوت!

واجعلني إنساناً يا ربّي!

إنساناً: مِن مسمار النجّار الأوّلِ في مهدي،

حتى.. مسمار التابوت!

نشيدُ النخلة

نشيدُ النخلة

المها: مُبهمٌ في الغزالْ
العروقُ: ملامحنا. والجبالْ
العيونُ: سهامُ المها في الرجالْ.
الوجوهُ: أيا صفرةَ البرتقال!
الصبايا: نخيلُ الجنوب؛
إذا قلنَ: لا. قاصداتٍ: تعال!

* * *

دربُ أبي الخصيب: غزالةٌ تراوغُ الصقورَ فوقها!

* * *

في الحروبِ: القنابلُ ـ في العيدِ ـ
تحلقُ شَعر النخيل!
وصغار النخلاتْ.
تتحزّم، في الأعيادِ، حبالاً للأرجوحات!

* * *

جَدّي يتوضّأ فوق الشتلةِ إذ يغرسها..

وكان الإمام ـ كرم الله وجهه ـ يحبّ التمر..

* * *

رفـّاتُ السعفِ جناحا جبريلْ

تتهوّى فوق سماءِ الماءْ

وكما يتسرّبُ وجهُ التمثالْ،

من ذاكرةِ النحّاتِ، إلى الإزميلْ

رفـّاتُ السعفِ.. تسيل!

* * *

يَحدثُ أن يميل سعفُ نخلة عذراء، نحو فحلٍ قريب،
يعينه. ويبقى شَعرها الأخضر على اتجاهه العنيد
هذا، حتى موسم اللقاح. فلاّحو البصرة يسمّونها
«النخلة العاشقة». وهم لا يُلقحونها إلاّ من
الفحل الذي مالت إليهِ. أمّا إذا لقّحتْ منه
ولم تحمِلْ. فهم يقتلونها.. غسلاً للعار!

* * *

وكان الخليل بن أحمد يضبط العروض على هوسات الطوّاشين...

* * *

دربُ أبي الخصيب: طفلٌ. خريطةٌ. قلم!

«تومان»: زنجيّ بصريّ. كان يقود إعلانات السينما،

وهو يعزف الناي بأنفه! و« تومان» جاهزٌ

للرقص حتى الموت. إذا سمع صوت «العود!»

* * *

جدّي يتوضأ فوقَ الشتلة إذْ يَغرسُها،

عند آذان العصر.

(مرارةُ القهوةِ صبرُ العرب!)

* * *

الطبلُ يتكتك خطوتنا، نحن البصريين،

والرقصةُ عدوى..

أرأيت الحصبة في مدرسة للأطفال؟!..

«تومانُ» الحُرُّ الأوحدُ بين البيض

والأسرعُ عدوى بين السود.عملاقٌ أثبتُ من فحل «الگنطارِ»

ولكنْ.. هاتِ العود!

* * *

لا تتركوا رضيعنا يجوع..

* * *

«بنت الباشا. دگلة موسى. أمّ جميعي. مشط الشيطان.»

أسماءٌ من نخل البصرة.

وأهالي «باب سليمان»

وَجدوا حرَجاً في جرّ الأسماء:

المرفوعُ مهابٌ

والمجرور.. مهان!

حتى لو كان المشطُ مضافاً.. للشيطان!

* * *

(ساعاتنا رقـّاصُها.. ذكر)

* * *

الأريافُ قماشُ اللونِ الأخضر في الأعلام!

وكان الإمام ـ كرم الله وجهه ـ يُحبّ التمر..

* * *

من ثقوب الفقراءْ،

يَرنّ معدنُ الضحكات على الأرصفة

والأغنياءُ العابسونْ،

لا يُسقطون حتى فَلْسَ ابتسامة!

* * *

أسِرَّةُ الجريد:

أضلاعها تفزّ بالفلاّح قبلَ نومهِ!

ليت كراسيِّ الملوك من جريد! ـ

ما أقبحَ الأقفاص! ـ

(يعتذر الجريدُ للبلابل.)

* * *

الجدّاتُ يُسَلِّكْنَ الخُوصَ المصبوغ..

في البصرة قد يأتيّ الخوصُ الناعمُ

من «بنتِ الباشا»..

أو من «دگلة موسى»..

من «أمّ جميعي»، أو حتى

.. مِن «مشط الشيطان»!

وطفولتنا ـ حتى الآنْ ـ

تبكي من ذبح دجاجات البيتْ

بل حتى مِن «فغْصِ»

كريّاتِ دمِ الرمّان!

* * *

الساف: دورة بناء كاملة حولَ الأساس.

الحـَلـَّه: موعد الانصراف عن العمل.

الگنطار: هو الگنطار!

.. وأسطوات البناءِ في البصرة،

يَعِدون عمّالهم: هذا آخر ساف..

وبعده يحلّون إلى بيوتهم.

والعمّال ينشطون نشاط الموتى،

ويهوّسون:

محلاك يا ساف الحلّه

گنطار محطوط بسلّه

* * *

هل صوتُ صراخ التمرةِ هذا، بينَ الأسنان؟

أم صوتُ الأسنانْ؟

التمرةُ تصرخُ ـ وهي الأنثى ـ

.. كثر «حلاة الروحْ»!

..مينُ المذبوحْ،

..مى أرقاً في عين الذبّاحْ!

هل تعجبُ من جنّي في حجم النخلةِ

يلبدُ.. في مصباحْ؟

وحريق الدنيا، قد يلبدُ في عود الكبريت؟!

* * *

.. والجدّات يُسَلـّـِكْنَ الخوصَ المصبوغ..

جدّات جنوب الله ـ

يصنعنَ «مهافيفَ» القيظِ الآتي،

ليُهرِبّنَ هواءَ الصيفِ الممنوعَ

إلى نومِ الأحفاد!

في الجنوب: النساء جنودُ الحقول.

والليلَ يُسرِّحُ الأمهات

مِن عسكريّة البيوت!

* * *

كان أبو عثمان عمرو بن بحرٍ، يُلقـّن حفيدهُ

المعتزليّ البصريِّ،

أنَّ أعذبَ الشعرِ أصدقُـه:

«صنتُ نفسي عمّا يدنس نفسي»

ليتني ما فعلتُ هذا بنفسي!

ويُعلّمُه كيف «يقرمطُ» الأمثال:

«القناعةُ كنزٌ.. للآخر!»

«مَن جِدَّ.. تعبْ!

ومَن زرعَ.. نُهِبْ!»

«وإذا كان الكلام من فضة.. فلا قيمة له!»

* * *

مباركٌ نهاركم ـ في الليلْ! ـ

أحشَفاً يا أهلنا وسوءَ كيلْ؟!

لا تتركوا رضِيعنا يجوعْ

فمريم العذراءُ هزّت جذعَ نخلِنا

وأطعمتْ «يسوع»!

* * *

ا خمُ الجمّارِ: عروسٌ،

تزَفُّ إلى فحل الگنطارْ

لونُ الجمّار: بنتٌ لم تلمَسْها شمسٌ

شمسُ العميان: دافئةٌ، والدفءُ يُرى!

ونساءُ العميانْ:

يَتبرَّجنَ، بتنعيم الأصواتِ

.. أمامَ المرآة!

نفخةُ الشمع، في ليلةِ العرسِ،

تُوقدُ خدَّ العروس.

وعلى أجساد الحسناواتِ

يسيلُ حريرُ الأعراس.

مثلما حيّةٌ تتبرَّأ مِن جلدها؛

بدلةُ العرسِ.. جِلدُ العروس!

* * *

البساتينُ ساكنةٌ للمطرْ
وأنا أغرِفُ الماءَ،
كي يفقد البحرُ زرقتهُ في يدي!

في أنهارنا تسقط ملايين النجومْ،
لكنّها أبعَدَ مِن أن تبتلْ.

مطرٌ يتبلل من بعضهِ.
رعشة الخوص تفضحُ خوف النخيلِ
على أهلها.
وظلال النخيل: تخاف علينا من الشمسِ
فهيَ تُهرّبُنا تحت أثوابها!
ظلُّ النخيلات: ليلٌ لنهارات الأبناء!

* * *

الفانوسُ يُضيءُ المنجلَ في أكواخ الفلاّحين
المنجلُ في الليلِ..
هِلالُ الكوخ!

* * *

تتعرّى الأسماكُ بثوب الماءْ..

والصابونُ نبيّ مغشوش!

آهٍ.. لو يُغسل بالماءِ فسادُ الأرضِ

منَ الصابون!

العالم اللئيمُ سوف يستمرّ بعدَنا! ـ

وكان الخليلُ بن أحمدَ. يضبط العروضَ

على هوساتِ الطوّاشين.

عدا التي أفلتتْ منه ـ يقولون ـ

.. فتداركها «الأخفش»:

ساير. زهدي. ديري. بريم

غطـّوا البرحي.. جانا الغيم!

* * *

.. ومن دار الإمارة بالكوفة، كان يخرجُ

أميرُ المؤمنين كلّ يوم.

كان ـ كرم الله وجهه ـ يحبّ التمر.. ـ

.. وكان الخليفة يعبر دكاكين الكوفةِ، ويُسلّمُ

على أصحابها، لكنّه ما كان يجلس إلاّ في

دكّان صاحبه «ميثم التمّار»..

كان كرم الله وجهه يحبّ التمر ـ

فيومَ لا يشتري التمرَ،

أو لا يملكُ أن يشتريه..

كان يسرّه أن يراهُ يلمعُ لعينيه..

ذوبي لنا سُكّراً، في حمضة العنبِ

وعَسّلي مُرَّنا.. يا لمعةَ الرُطبِ

* * *

واستضوئي ليلَنا. صرنا لنا شبحاً

تفزُّ مرآتنا من نظرةِ التعبِ

* * *

يا بنتَ أحزانِنا مُرّي، كما فرحٌ

يا حلوةً ـ مُرّةً.. يا قهوة العربِ

* * *

لا تعجبي! ساعتي رقـّاصُها «ذكرٌ»

هل في ذكورات «رقـّاصينَ» مِن عجب؟!

* * *

، لا غبارَ عليها، وهيَ مغبرةٌ!،

أرباع ساعاتها أخزى مِن الحقبِ

اليتُ أنَّ لا.. ولكّني معاندةٌ،

اليتُ أنْ.. وليكنْ ذنبي على كتبي!

* * *

وما ملاذي سوى بغدادَ. هل حضَنَتْ

أمٌّ سواها، بنيها: كافراً.. ونبي؟!

* * *

هُمْ يركعونَ وقوفاً، فرطَ سمنتهم!،

وها أنا واقفٌ ـ نخلاً ـ على تعبي!

البصرة 2001

إيقاعات بصرية

أم الشهيد

١. اغنية لأخت الشهيد

مثلما تَنبت، في الأرض،

جذور الأنبياءْ

مثلما تنفتح الأرض

.. وتنشقُّ السماءْ

أنبتت أمي أخاً

في بطنها ـ

واستوى زهراً

كما شئنا وشاءْ

ثم عمّدناه بالماء ـ الهوى

واغتسلنا فيهِ بالماء ـ الدماءْ

وانتظرنا صبحه

حتى إذا جاءَ..

غسّلناه بين الشهداءْ

* * *

2. تنويمة لسرير فارغ:

(«أم الشهيد»)

يا حبيبي!

حين أرضعتكَ

أوصيتُ حليبي

أنْ يُنمّيكَ فتىً قبل الأوانْ

ويُربّيك شديداً كالزمانْ

وطويلاً..

مثلَ أشجار العراقْ ـ

يا حبيبي!

وتساءلتُ: لِمَنْ؟

فأتى صوتك:

((من أجل العراق))

* * *

يا حبيبي!

تذكر الأرضُ نداءَ الأنبياءْ

تذكر الأرض الدماءْ

ولهذا..

يا حبيبي -

تنحني الأرضُ

لِذكرِ الشهداءْ

* * *

يا حبيبي!

نَمْ..

كما كنتَ على صدري تنامْ

نمْ..

فإنّ الأنبياءْ

يحرسونَ الليلَ

حتى لا يفِزَّ الشهداءْ

* * *

يا حبيبي!

هذه الأرضُ التي مُتَّ لها

تبكي المسا..

هذه الأرض التي يُزرع فيها الشهداءْ

لا تُساقى

مثلما يُسقى النباتْ ـ

هذه الأرضُ..

المزارُ المفتدى

ويحنا..

ندفنكم فيها،

ولا نمشي حفاةْ!

نشرت في آفاق عربية وفي الطليعة الأدبية عدد 12
وألقيت في المربد الخامس

أربعة وجوه بصرية
تحت القصف

الوجه الأول:

حامل الخبز

((عاد رجل يحمل الخبز لعائلته،

فوجدها ممزقة تحت أنقاض البيت))

لماذا لا يصير الخبز قرآناً

لتقرأ فيه باسم الله:

آياتِ السكينة والسلام

ليأمَن الأطفالُ

عند القصفْ؟

لماذا يَحمل الأطفالُ

أعباءَ الحقائب

في الصباحْ ـ
وحين يُوَّدعون البيتَ
يَرتدُّون، مذعورينَ ـ
تحت القصفْ؟
لماذا قال لي ابني الصغيرُ:
((نسيتُ شكل الصفْ))؟
لماذا تَحجبُ الأكياسُ
شمسَ مدينة الأنهارْ؟
لماذا تستحيل نوافذُ العشاق
في ((أم الدجاج))
مراصداً للنارْ؟
لماذا ـ رغم أنف الموت ـ
لا يتوقف((العشار))؟

* * *

لمن تحملُ الخبز؟
لا بطنَ يطلبه ((الآنَ))
كلُّ البطونْ

((..ا.ت)) شظايا!

..ل العيون التي ترقب الخبزَ

.ن ساعة،

. لا عيونْ!

* * *

الوجه الثاني:

الفراشة الخضراء

((صبيّة في الحادية عشرة، خضراء العينين اسمها «إهداء» كانت تقف. على الرصيف ـ أمام بيتها ـ تنتظر شيئاً... ربما كانت تنتظر الشظية التي مزقت رأسها!))

إذ يَسقط الندى

على حدائق المنازلْ

في الفجر ـ

تفتح الصبايا عيونهنّ

ثُمَّ.. حين تعكس المرايا

عينين خضراوين كالمروجْ

تختار ((إهداء)) لعينيها

قميصَها المخضَرَّ لونَ العينْ

وترتدي وشاحها الأخضرْ

وحينما تهمُّ بالخروجْ

تصير ((إهداء)) وعيناها

فراشةً خضراءْ

* * *

يا فِرقَ الإنقاذْ..

هل بينكم من يستطيع

أن يُغيِّر اتجاهَ قنبلةْ؟

من يستطيع أن يُزيل الدمْ؟

وأنْ يعيد للقميص

لونه المخضرّ؟!

* * *

الوجه الثالث:

((الرجل الذي مات خجلا))

((رجل كهل.. بنى داخل بيته ملجأ، وحين ابتدأ القصف حاول دخول الملجأ.. لكنه فوجئَ بوجود نساء من الجيران! فخجل أن يقتحم

ـايهن، وبقي خارج الملجأ ليطير رأسه كشهيد خجول!))

يا عمّال الميناءْ

يا حرّاس البصرةْ!

هذا رجلٌ

ما كان يموت ـ كما شاهدتم ـ

من غير عناءْ

ما كان يموتُ بسيطاً جداً

وخجولاً جداً،

لولا هذا الخجلُ البصريُّ القاتلْ

وكما لو أنَّ الموتَ

بلا رائحة

وبلا طعم

أو لونٍ

كالماءْ!

يا عمّال الماءْ

يا حرّاس الماءْ

هذا رجلٌ يُعطي

لكنْ..

لا يأخذُ

.. كالميناءْ!

* * *

يا أيها الكهلُ الخجولُ

أيقتُل الناسَ الخجلْ؟

ماذا..

أتخجل أن تعيشَ

كما يُعاش ـ

بلا خجلْ؟!

* * *

الوجه الرابع:

((وجهي أنا))

قال لي شاعرٌ جاهليٌّ.. صديقْ:

حينما يبدأ القصف لا تنحنِ

.. وامنحِ الخوفَ بعضَ الرجولةِ

مثل الصعاليك

[illegible]ونْ!

وانتظرْ لحظة الموتِ

وسط العراءْ

لا تنمْ في الملاجئْ

إذ إنها

لا تليق بنا ـ معشرَ الشعراءْ ـ

ولْتَقُلْ مثلما قلتُ

قبلَ المماتْ ـ :

((الْبَثْ قليلاً

يَلحَقِ الهيجا حَمَلْ

لا بأس بالموتِ

إذ الموتُ.. نزلْ))

نشرت في جريدة الثورة ـ ومجلة فنون
وقرئت في مهرجانات عدة.

رؤيا حامد

شفقٌ من لهبٍ تسكنه الألوانُ:

بين الأحمر القاتلِ

واللون السرابْ

شفق ترسمه الحربُ

على صمت الصحارى ـ

في السكون الداكن الوحشة

في ليل ((الحجابْ))

شفق ـ أو قلقٌ ـ يحمرّ

إذ أوجس موسى ـ :

((إنني آنست نارا))

((المحصورة بين القوسين الكبيرين حذفت من قبل الرقيب))

(أحمرٌ يفتحه الماءُ

كما تغسِل الشرطةُ

في عالمنا الثالث ـ

آثارَ اغتيالْ)

* * *

هاجسنا الأخيرُ:

بعد أن شبكنا أكفَّنا

على سجيّة الأكفّ بين عاشقينِ ـ

وابتهجنا..

أنْ تملكي عشرين من أصابع اليدينْ!

وأن يكون لي عشرونَ

وارتبكنا..

حين أردنا أن نَرُدَّ

في الوداع ـ

كلَّ إصبعِ لكفّها.. خجِلنا

أنا وأنت ـ

.. أن نعود اثنين!

* * *

تتوارى خلفنا ذاكرةٌ

للحظةِ ـ الدهر

ويصطكُّ الزمانْ

لوحةٌ مجنونة الألوانِ:

لا ضوءَ ولا ظلَّ

سوى أحمرَ اقتادته فرشاةٌ

إلى أصفرَ..

فانصاعا إلى رعشة المزجِ

وصارا شفقاً.. من برتقالْ!

* * *

صورةٌ للموتِ.. إذ يدنو

فينشَدُّ الجبينْ..

دون أن يَصفَرَّ

أو يندى ـ

وتنسلُّ السنينْ

بين أطراف الأصابعْ

في الزناد الساهر ـ الموقوتِ

بين القتل والقتلِ

الحلالْ

بين أن تَقتـُل أو يجتازك القاتلُ

هل يدرك حامدْ؟:

ان وجهَ امرأةٍ أسمرَ

قد يَسْوَدُّ ـ في البصرة ـ

لو ينعسُ حامدْ؟

أو.. ينامُ الشكُّ

في عين الزنادْ!؟

* * *

اسمع يا حامدُ.. يا حامدْ

ولتكتبْ عندك ((بالشفرةْ)):

((اطعن قلب الحوت!))

هل تسمع يا شرق البصرةْ؟

أسمعُ.. أسمعُ

يا بيروتْ!

* * *

طلقةٌ..

أخطأها القاتلُ ـ

فأسودَّ الدخانْ

لم يجد حامدُ إلاّ ألقاً

بين جفنيه وعينيه ـ

ومذ شقت الصمتَ ـ المدوّيْ

لم يعد يعرفُ

ما الوقتُ الذي ((لوّنَ)) عينيه:

ثواني.. أو زمانْ!

* * *

في الأسرِ..

لي نجمةٌ تَهدي إلى وطني

* * *

لم تَسَعنا ((غرفةُ التسفيرِ))

كنّا أربعينْ ـ

منعوا أرجلنا أن تنثنيْ

فجلسنا..

واقفينْ!

داهمني ((الحراسُ)) في منامي

دسّوا أصابعَ الشكوكِ

تحت ظلمتي ـ

... وا.. وفتشوا

... ايا خاطري

... شة السريرِ

ا م يعثروا إلاّ على رصاصةٍ

... اسفوا

لأنهم..

ما أسروا ضميري!

* * *

في الطريق إلى بيتنا

باغتتني ملامحُ وجهٍ

يحدِّقُ بيْ

من خلالِ الزجاجِ ـ

تذكـَّرتُه ـ صدفةً! ـ

كانَ.. وجهي أنا!

* * *

في حضن أمي

طاف بيْ ((سلمانُ))[1]

---

(1) ـ سلمان: الصحابي.

لم أغمض عيوني

مذ صادروا عينيَّ لم أغمض عيوني -

لكنَّ أمي حاصرتْ ليْ النومَ

ردّت ليْ نعاسي

في الأسر أنسوني نعاسي -

غنّتْ.. إلى أن طافَ بيْ سلمانُ

في ثوب الصحابةْ!

خجلانَ من عينيَّ

مرتجفَ اليدينْ

ألقى عمامَته عَلَيّْ

وتناوحتْ في الأفقِ

رجفةُ صوتهِ:

((إني بريءٌ يا بُني!))

((إني بريءَ

يا بُنيْ!

نشرت في جريدة الثورة. ومجلة فكر وفن الألمانية،
وألقيت في المربد السادس وفي مهرجان الشعر العربي السابع
وفي مهرجان جرش بالأردن عام 1986.

ما قاله هاني بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار

دنا صوتُ الصَبا فأستفّ رملُ

وغاضت واحةٌ

وأغتاظ سهلُ

ومِن ريب النِدا شدّت لجاماً

على رمضائها فاقتيد أثـْلُ

ولم تـُلقِ المذاري من يديها

سوى ما يَلفظـُ النَسرُ الأشَلُّ

فألقت حملَها بِكراً

وجازت خيامَ الحيِّ من ((شيبانَ))

إلاّ بيوتاً من ندىً لن تُدركوهُ

بنو شيبانَ أهلي، فامنعوني

عن الماء الذي لم تمنعوهُ

بلى!

ولتَزجروا عني حصاني

ولكنْ..

حاوِلوا أن تركبوهُ!

* * *

بلى أيها البدويُّ الفتى

إنّ ما يُقلق الشهداءَ القدامى

سؤالٌ صغيرٌ ـ كبيرٌ

إلاما؟

بلى أيها البدويُّ..

فكنْ مرةً ((أنت))

قلْ ما تريدُ ودعْ ما يُرادْ!

فكلْ الحقول التي ((حُرثت)) بالحرابِ

وديست بأحذية الغزو

لابد أن يعتريها الجرادْ!

* * *

ويا بنتَ عمّي..

أتدرينَ ما يحزن الشهداءَ القدامى؟

عيونُ اليتامى!

شيبانُ قافلةٌ.. وقافيةٌ

وكِذْبٌ للعبادة ْ!

شيبانُ أحرقَتِ الشهيدَ:

خيامَه..

وقميصّه

.. والجُرحَ

حتى لا تُصيبَ بنيهمو

((عدوى)) الشهادةْ!

* * *

بلى آلَ شيبانَ

كُنّا حراباً..

وكان المغيرونَ منّا ـ علينا

فماذا سوى أنني إذ رميتُ

وأتقنتُ..

وَفيَّتُ نذراً ودَينا

وهل كنتُ قطعتُ إلاّ ذراعي

بسيفي ـ
وهل كنتُ جَندلتُ
إلاّ ((حُسينا))؟!
وهل ـ يا أيها القتلى ـ قَتَلْنا
سوى أبنائنا من ألف عامِ؟
وهل كنا تداعينا لحربِ
لِصدِّ الغزو
أو حفظِ الذمامِ؟
سلاماً أيها البدوُ القدامى!
سلاماً أيها القتلى ((حلالاً))!
سلاماً أيها القتلى..
حراما!
وقَرِّي أعيناً يا بنتَ عمّي
فقد عُدنا
كما كنّا ـ
.. خياما!

* * *

ولولا بريقٌ ـ هنا ـ في الجباهِ
ولولا حيائي

[illegible]تم تُذلَلونَ

[illegible]م مقتلي -

[illegible]ن ورائي!

و كذتُ..!

ولكنْ سمعتُ ابنةَ العمِّ

((ها!)) تنتخي

فلَفْلَفتُ رِجليّ حول الجوادِ

وصَبَّرتُ وهْني!

وجَمّعتُ تاريخَ كلِّ العراقِ

ولملمتُ تاريخكم

في بلادي

ويَمّمْتُ وجهيْ:

فإمّا حياةٌ تَسُرُّ ابنَ عمي

((وإمّا مماتٌ

يُغيظ الأعادي!))

* * *

وها إنّا ((بذي قارِ)) نزلنا

ثرىً يَنهَدُّ

أو سيفاً يُسَلُّ

وجَرَّحنا.. وجُرِّحنا

ولكنْ..

لنا مِن جُرحنا إلفٌ وخِلُّ

وجاوزْنا نُباحَ الحيِّ

إلاّ صدىً ـ في القلبِ ـ

ممّا لا يُمَلُّ

وما أقسى بني عمٍّ

مررنا بهم..

فآزّاوروا عنّا وحادوا!

وما قلنا همو خانوا..

ولكنْ:

أعقُّ خيانةِ القربى

.. حيادُ!

أعقُّ خيانة القربى

حيادُ!

ألقيت في المربد الخامس

وفي مهرجان جرش بالأردن في 19/ 7/ 1968.

حراس الشط

إلى شكر حاجم

قبلَ أنْ يبتكر البحرُ موانيهِ

نَبتْنا ههنا..

نحن لم نَسكُنْ جوار البحر لولا أننا

نَعرفُ البحرَ

كما يعرفُ ابنٌ أمّهُ

أو كما تعرف أمي مَن أنا.!

لم نَقُلْ للنهرِ: آمنّا بكلتا الضّفتين

دون أن يعلننا التاريخ:

حرّاسَ العراقْ!

* * *

نحرسُ النخلةَ منذ ((الطَلْع))

من أسنانه البيضاءِ؛

يَصفـَرُّ الرُطبْ..

نحن أغدقنا على التمر المذاقْ

وأشتقـَقنا

من ((عروق)) النخلِ

اسماً للعراق!

* * *

للشناشيل التي كانتْ

وكنا فقراءْ ـ

للبيوت ـ الطين

إذ تصمدُ.. أو تنهارُ

من هولِ الشتاءْ

للشتاءِ الحاملِ الأمطارَ

مِن أجل بساتين ((الشيوخ))

الأغنياءْ!

والشتاءِ الناقل البَردَ

كما العدوى ـ

الى الأضلاعِ. في ليل المواني

المواويل ـ التي يبكي لها الصيّادُ ـ

في ((أم الرصاصْ))

لرصاص الاغتيالْ

لم نزَلْ نذكر ـ في البصرة ـ

موّالاً يقولْ:

((العالياتِ انزَلَنْ

والمايطيرَن.. طرَنْ!))

...

ولهذا.. فاطمئنوا!

نحن لم نسكن جوار الشطّ

لم نبنِ البيوتْ

دون أن نحرسها:

أهلاً..

وطابوقاً..

وقوتْ!

نشرت في جريدة الثورة في 1 / 3 / 1986.

ثانيةً..

تصاعدتْ أبخرةُ ((التكوينِ))

فوق أرضنا..

وأمطرتْ

فانشَقّتِ البحارُ والمواني

.. وأذِن الربُّ

بأنْ يكون ماؤها

.. فكانْ

عَذْباً..

وقال: كنْ!

فكانتِ النخيلُ

ثُم قال: كن!

ا انبثق الإنسانْ

من تحت كلِّ نخلة ـ

.. وانهمرَ الرطبْ..

وأذِن الربُّ

فجاءتِ الملائكةْ

وقال: أبِصروا مدينتي!

فأبصروا مدينةَ الربِّ

التي تحرسُها الأنهارْ ـ

وعَشرةٌ من الملائكةْ

كما تقول جَدّتي ـ

سمّاهمُ ((العشار!))

ثانيةً..

سيبدأ التكوينُ مِن مدينتي

أو.. يبدأ الطوفانْ!

فـلتحذروا!

* * *

بالأمسِ حَلُمتُ بأنَّ البصرةَ

قد ماتتْ!

فهلَعتُ ولم أكمل حلمي..

أفزعتُ معي بعضَ العشاق»

رحنا نتحسّسُ جدرانَ ((العشارِ))

.. نقيسُ النبضْ!

خفنا أنْ تصدُقَ هذي الرؤيا

لكنْ..

أبصرْنا كفَّ اللهِ

تُدلكّكُ قلبَ البصرةِ

مِن شرفته..

فوق الأرضْ!

* * *

لأبي قهوتُهُ المرّةُ

في العصر ـ

ومِن طبع أبي:

أن يرى دلّته ((الكبرى))

تقودُ الأخرياتْ!

واهذا..

حينما همَّ بأنْ يُسْلم جفنيه

وماضينا ـ إلى الموتِ

رأى موقداً ترأسه ((الكبرى))

فحيّاها..

وماتْ!

* * *

((الشناشيلُ)) أبي..

شرفةٌ أعتَمها المغربُ وأكتظتَ المساءْ

بزجاجٍ خادعٍ

يَسْوَدُّ ـ كالقهوة ـ حُزناً

.. كي يُضاءْ!

شرفةٌ ما أشرفتْ يوماً

على غير صِبانا

يا أبانا. في الأعالي ـ باركِ البصرة وامنح شرفتي

مَنظراً آخرَ..

من دون بكاءْ!

وأعِدْ ساعةَ ((سورينَ))[1]

تَدقّ السادسةْ

في تمام السادسةْ!

ولـْتدَعنا ننتظرْ نشرةَ أخبار المساءْ

دونَ أن يُرعبَنا

رُعبُ المذيعينَ

وأنباءُ الدماءُ!

* * *

في الشناشيل في قلب ((نضرانَ))[2]

أمٌّ تُعلِّق قمصان أبنائها

تعمّدتُ ألاّ أراها تعلقُ ذاكَ القميصِ

وهيأتُ عينيَّ للحزنِ

كان القميصُ به ثغرتانِ

كعينينِ ـ

في أسفل القلبِ

يا أمّنا ـ في الأعالي ـ :

---

(1) ـ ساعة سورين: كانت من أجمل معالم البصرة نصبت عام 1935 وأزيلت سنة 1965.
(2) ـ نضران: أحد أحياء البصرة العريقة.

احقاً تظنين أنّ الشهيدَ

(إذا عاد من موته ـ

.. لن يُغيرَ قمصانَه؟!

* * *

خلف أكياس الرمالْ

همستْ عينا فتاة لِفتى

فرمى دفتر أشعارِ خجولاً

ثم غابْ..

خلف أكياس الرمالْ ـ

حاضناً وردّتها..

وأنسدَّ بابٌ..

خلف أكياس الرمالْ

* * *

مِن أيام ((الحسَن البصريِّ))

تعوّدَتِ البصرةُ؛

أنْ تُسْلِـمِ أبراج كنائسها

لـ ((بِلالِ!))

فيدُقُّ الأجراسْ!

أو تَنزلَ ـ في الفجر ـ ((العذراءُ))

تُوزّعُ ـ في كلِّ جوامعنا ـ

شمعاً ((للخضر الياسْ))

فلنخرجْ، منذ اللحظة،

صوب الشط

ولنفتحْ ـ قسراً ـ ميناء العشار

لكلّ الصيادينَ

وكلِّ الأسماكْ

فهناك بلالٌ

منتظِراً

والعذراءُ... هناكْ

نشرت القصيدة في جريدة الثورة في 8 / 12 / 1986.

القهوة المرّة

فلنقتلِ الصحراءَ..

أو نرجَع إليها!!

يا أمنّا الصحراءُ لمينا

أو فابعدي عنّا

.. كفانا رملْ!

يا أمنا الصحراءُ

.. أين الأهلْ؟

صبّي لنا قهوتكِ المرّة

ولنسترحْ..

في ((الخيمة الأولى))

يا أمنا الصحراء.. ضُمّينا

ولنفترشْ بساط عبد الله

المحصورة بين قوسين كبيرين حذفت من الرقيب:

(أو نفترش بساطَ عبد اللات)

فكلُّ ما نريدهُ

يا أمنّا الصحراءُ ـ :

أن يعرفَ المريضُ

اسمَ الداءْ!

4 / 11 / 1986

حوار

رجلٌ ـ في الأربعينْ ـ

وفتاةٌ مسرعةْ

عبرا ـ من أول الجسر

إلى آخره ـ

تحت الرذاذ: ـ

إنها تمطر منذ الفجر...

(...)

.. هل نرتاحُ بعض الوقتِ..؟

(...)

.. أو نمشي معاً..

هل تشربينْ..؟

إنني لا أقصد الخمرةَ

أعني: ربما نشرب الشايَ

أو القهوةَ.. اسمي..

(...)

.. حسناً.. تقرأين الشِعرَ

(...)

.. قولي أيَّ شيء،

فأنا أخجل أن يُضطرّ هذا

الشاعر المسكينُ للإكثار

من هذي الـ (...)

6/ 3/ 1986

نشرت في «أسفار» المزدوج 6، 7.

إيقاعات سريعة
مجموعة قصائد قصار

انعكاس..

صار النورسُ..

وهو يطيرُ

وراءَ الموجةِ ـ

ظِلاّ أبيضْ

تصحيح!

آخر ما يفعلُه المحرِرونَ

قبل النوم ـ

في الجريدةْ

أنْ يُنكروا أخطاءهم!

10 / 10 / 1986

تعتيم..

في غرف المستشفياتِ

يُغلقُ المريضُ

بابَ جرحه

ويُطفئُ الآلامَ..

كي ينامْ!

10 / 10 / 1986

سيما..[1]

((سيما)) عروسُ البحر

ترتبك المراكب حولها

.. ويتيه نورسْ

سيما..

إذا نطقت ـ ولو حرفاً ـ

يصير الشِعرُ

أخرس!

عمّان 8 / 7 / 1986.

(1) ـ سيما: فتاة أردنية ليست جميلة جداً، غير أنها جميلة جداً!

تومان البصري

لأنني أريد هذه المدينةْ

دائمةَ الشبابْ

فلن أصدِّقَ ((الإشاعة))

التي تقولْ:

((تومان في السبعينْ!))

1986 / 4 / 12

مهر!

فأرٌ ذكرٌ

أهدى بعض الجبن المسروقِ

إلى فأرةْ

ومشى..

والفأرةُ تتبعه..ـ

حتى دخلا ((ثقبَ الزوجيّة!))

4 / 8 / 1986

جدارية النهرين

نشيد العراق

(النشيد الوطني)

في البَدءِ كانْ الرافدانْ

وكانت الدنيا دخانْ

لا بارقٌ خلفَ المدى

والأفقُ ضاقْ

حتى بدا مثلَ الندى

وجهُ العراقْ

* * *

فلتُقرَعِ الأجراسُ في الكنائسْ

وَلترفَعِ المساجدُ النداءْ

(تمّوزُ) دقّ بابَنا في آخر المساءْ

وفَتّحَتْ (عشتارُ) للعِناقْ

عيونَها، فأستيقظَ العراقْ

الماردُ القديمُ قد أفاق

* * *

مِن هنا حطتّ على الأرض الحمامْ

بين آشورَ وأورْ..

وحمورابي وبابلْ ـ

فابتدا فجرُ السلامْ

وامتلا الكونُ سنابلْ

كابوس الشاعر

أعِدّي شايَنا الليليّ، واختاري

أتختارينَ غصناً يابساً، بل ميّتا للنارْ؟

أنُحرق أيّ شيء، كي نُدفّئَ شاينا الليليّ؟

هل نبقى نُدفّئُ بردَنا؟

نبقى نُعِدّ الشايَ بالقتلى مِن الأشجارْ؟

أعِدّي قِصةً شتوية للنارْ

ولا تخشي. فإنّي شهريارَ دونما سيفٍ:

يُخوّفُني خيالي، حينما يَهتزُّ حولَ النارْ

وأخشى مِن ظلام القهوةِ المنسيِّ في الفنجانْ..

ويا لَلهِ! كم عانيتُ من رؤيا:

تراءى لي خروفٌ كان مذعوراً

وكنتُ وراءَهُ الجزّارْ..

توسّلَ بيْ. ولكن كنتُ جزارا

أيخجل مِن عيون خروفه الجزّارْ؟!

ويا لله! كم عانيتُ، بعدَ الصحو، من كَفّيْ

لأمسحَ وصمة السكين!

* * *

أعديّ شاينا الليليّ

واختاري له ناراً بلا حطبِ

ألا تدرينْ؛

بأنـي شاعرٌ كالغصنِ، بل غصنٌ،

فكيف ـ لأجلِ شاي الليلِ ـ

أكسِرُ أخوتي الأغصان؟!

قصة فقدان إبرة خياطة

(الأسماء مستعارة من ماركيز)

1 ـ من شبّاك طينيّ، في حي الفقراءْ؛

همست (مانويلاّ):

كانت ترقبُ بضع مئاتٍ من أشباحِ حافين

بمئاتِ الأقدامْ

المثقوبةِ بمخالبِ فقر الآباءْ

والشمسُ مؤجّلة ً كانتْ

فالصبحُ مساء!

لكنّ صغارَ حزام الفقر الطبقيّ

وبما يَتَـيسَّرُ مِن خِرَقٍ ـ

صنعوا كرة ً للمنتخب الوطني!

مانويلاّ ـ من شبّاك في حيّ الفقراءْ

شبّاك طينيْ -

همستُ: يا الله..

مَن يَملأ هذي الأفواه؟!

* * *

(دون ساباس) - لنظافتِه في حيّ الفقراء

يسمّى (الكنّاس)

لا يترك شيئاً وسخاً فوق الأرض

ولهذا يبدأ بالصحفِ الملقاةْ

الأوسخِ من كلّ الأشياءِ على أرضِ الرب!

أشعل سيجاراً ملفوفاً (دون ساباس)

لم يتذكّرْ إن كان امتصّ دخاناً

أو أنّ سجارته الملفوفةَ طارت

بين الأنقاضْ..

وإلى أنْ ماتَ - يقول الناجونَ

بحيّ الفقراءْ - ظل يردّدُ مجنونا:

«كان الصاروخُ يلمعُ، والأطفالْ

ضحكوا - قبل الموتْ

والسيجارةُ طارت.. في الصوت!»

!. ـ اسمعْ يا (دون سيزار) قلتَ لي إنك جنديٌّ في
أسطول الكاريبي..
كلّ هذا حسنٌ ومشرّف.
ولكنْ لا يحق لك، مع هذا، أن تشتمني. فأنا
شرطيٌّ وأنت أقلُّ
شرطيّةً مني. هذا صحيح ولكن. كلانا يؤدي
واجبّه اللعينَ في هذه
الحياةِ النتنة. أنت حزين لأن خطيبتك (مانويلا
سانشيز) ماتت
أو قتلت. كما تقول، مع أغلب سكّان حيّ الفقراء.
لك بعضُ الحقّ
وربما كلّ الحقّ. كل ما في الأمر يا (دون سيزار)
أن جنود الصواريخ
كانوا يحتفلون أسوة بأبناء جيشنا بنجاة البطريرك
من محاولة الاغتيال
العاهرةِ والدنيئة كما يقول الراديو الوطني. وكلّ
ما في الأمر أنّ ضابط
صواريخ كان في حالةِ احتفالٍ ـ أعني حالة سكر ـ

يرحم اللهُ الجميع ـ
وقد اتكأ على زرّ الإطلاق! هذا ما قيل لنا في
الأقلّ، نحن أبناء
الحكومة، ومن المؤكّد أنّ الشعبَ يردّد شيئا
مختلفاً، أنت تعرف الشعوب!

3 ـ (ترينيداد) سيّدةٌ مِن (ماكوندو) كانت ـ في
القرن الماضي ـ
تملك خدّين من التفـّاحْ، إنْ تضحك في حفلات
الرقصِ، تخلخلْ أقدامَ
الشبّان، فيدوس البعضُ على البعض. (ترينيدا).
لبراءتِها،
ولِحُسْنِ الظنّ الأحمقِ بالناسْ، سقطت في أيدي
سكّيرٍ ـ وعلى ذمّةِ
جارتها ـ قوّاد!
أهلُ (ترينيدا) لم يختلقوا طيرانَ ابنتهم من حبل
غسيل البيتْ. ولهذا عاشت
حتى الستينْ أنبلَ عاهرةٍ في الكاريبي! فقدتْ

خدّيها في موسم موتِ التفـاحْ

ومنذُ الأسبوعِ الفائت

حين ألحّ الزوجُ السكّيرْ

أن تُصلح جيباً في معطفهِ

يتسرّب منه الإفلاس!

(ترينيدا)، منذ الأسبوع الفائت

تبحث عن أبرتها، والسكّيرْ،

يلبسُ معطفَه، معتقداً أن (ترينيدا)...

سنؤجّل قصةَ معطفه ـ...

4 ـ قبل كارثة الصاروخ بساعات. كان (دون

ساباس)

الملّقب في حيّ الفقراء بالكنّاسْ، يتسكع فوق

أرصفة

العاصمة لتخليصها مِن وساخات الصحف الملقاة..

أرعَبَه أن يرى زجاجة خمرٍ مهشمةً على حافة

الرصيف

انحنى ليلتقط شظايا الزجاجة من بين أرجل العابرين

وسخريتهم، قال أحدهم: لن تسكرَ الليلةَ يا

مسكين!

عفطَ له (دون ساباس). كان كعب الزجاجة. وهو

أخطر شظاياها قد تدحرج إلى الشارع. قبل أن يهمّ

بالتقاط كعب الزجاجة،

سمع صراخ سيارات الحكومة من بعيد. في ما يبدو

أنه موكب البطريرك.

قال لنفسه: عسى كعب الزجاجة يفعل ما لم يستطع

شعبُنا أن يفعله وأنصرف..

من بعيد قليلا كان السكّير يرقب بحسرةٍ زجاجته

المغدورة والهواء ينقل له رائحتها المخزية.

وبصوت مسموع، كان يشتم (ترينيدا) التي

نسيت على ما يبدو، بل بكلّ تأكيد، أن تصلحَ

جيب معطفه حيث اعتاد أن يدسّ الزجاجة.

5 ـ وصلَ الموكبْ سيّارة ليموزين. أسرع من

صوت الصوت، تحملُ ألوان العلَم الوطني.

ومكَبّر صوتٍ يُنبّه أبناءَ الكلبْ.

باللغةِ الوطنيةِ يعني.. الشعب! ـ
أن ينجوَ منهم مَن ينجو.
ارتعبت سيّارةُ ركّاب. هربت نحوَ الجهة اليمنى،
حيثُ الكعبُ المكسورْ، لزجاجة صاحبنا السكّير!

6 ـ بقيّةُ الحكايةِ معروفة تقريباً، رغمَ أنّ الرقيب
العربيَّ المتوجّس قد حذفَها من ترجمة (خريف
البطريرك)
إلا أن شاعراً صعلوكاً من شعراء الثمانينات في
(ماكاندو)
يتقنُ العربيةَ ـ كما أتقن أنا الأسبانية! ـ
قد صوّر الحادثةَ. حادثة (تخريم) باص الركاب
كما يلي:
وانطلقَ الرصاصْ
بين التراب والنجومِ
والرصيفِ والنوافذْ
مِن الشمالِ والقمرْ
والطائراتِ والجنوبْ

من واقفينَ في مداخل الباراتِ والفنادقْ

وعابرينَ يكذبون أنهم سوّاح!

أو بائعي سجائر!

وعند الظلام الكثيف للّيلة نفسها، التصقَ

التلفزيون الوطني بالإذاعة المحليّة،

في عملية سحاقٍ إعلامي، ليذيع المذيع

الكبير بياناً عن محاولة عاهرة دنيئة

قام بها أعداء الربّ، الخارجون على

الكنيسة الأمّ، حيث اعترضت سيّارة

كبيرةٌ الموكب الرئاسي، تمهيداً لمحاولة

الاغتيال، لكن عيون القديسين التي

ترعى (ماكوندو) أفشلتْ كيدهم.

ألقيت في مهرجان رسمي
في العام 1992. لم تنشر.

البيوتُ الشناشيلُ، سوقُ الهنودِ. الجسورُ التي تحتها
الماءُ يخضرُّ. جسر العبيد. الشناشيلُ خضراءُ. كنّا
خجولينَ؛ نحن البنينُ، البناتُ الجسوراتُ يضحكنَ.
تنّورةُ البنتِ بيضاءُ. جوربها أبيضٌ، والقميصُ
الحريريُّ، كنّا نسمّي البناتِ النوارسَ. بيضاءُ كلّ البيوتِ. البناياتُ بيضاءُ. حتى الحكومةُ: شَعرُ الوزير، السفيرِ، العقيدِ، المديرِ، (الكهولُ الخجولونَ لا يصبغونَ!). المدارسُ بيضاءُ.. نهرُ العشّار
الآن: الماءُ الأسودُ لافتةٌ ترثينا!.. كانت الملكة (عالية) تزور البصرةَ بيختها الملكي في الخمسينات.
ينقلها زورقٌ أبيضُ من شطِ العربِ إلى العشّار،
وصولاً إلى قصر (النقيب) في (نظران)... كان قاعُ
النهر مبلّطاً بالقار والطابوق.. يزعمُ المعَمرون أنّ ماءَ
النهر كان صالحاً للشرب، ويُقسمونَ بـ(العبّاس!)

وأنا أحلف، أني لُقنتُ الحبّ الأولَ والقبلةَ في مدرسة البستانْ:

فالبرحيّاتُ بناتُ البصرةِ

والتمرُ المغسولُ شفاهُ البنتِ ـ النخلةِ

والطلعُ المفطورُ.. الأسنان!

كانت ساعاتنا سويسريّةً كلّها، لكّنْ. كـُنّا

نضبطها على دقـّات ساعة (سورين). الساعةُ وشى بها

عند المحافظِ رجلٌ (قوميّ) في المجلس البلديّ،

فأنزلتْ مِن برجها إلى مخازن البلديّة، لأنّ اسم

(سورين) كان يخدش عروبة أسمائنا!

البيوتُ الشناشيلُ. سوق العقيلِ، السكارى يغطـّونَ

أنفاسّهم بالمناديل. (تومانُ) يجتاز جسرَ المغايزِ،

يمشي كما الزورقُ؛ الناسُ مِن حولهِ موجتانِ.

الوقوراتُ يضحكنَ في سرّهنّ. المهرّج يعزف بالناي

من منخريه، الوقورونَ يُخفونَ ضحكّتهم للبيوت!.

الملاهي تـُعّلقُ لافتةَ الغلقِ في رمضانَ. الفتى بائعُ

الخمر (سركيسُ) يسألُ خجلانَ: عمّي. الخطوبةُ

طالتْ. متى ينتهي شهرُ عاشور؟! (ملاحظةٌ للتاريخ):
البصريون، السنيّونَ، الشيعيّون، الكلدانيّون،
الآشوريونَ، وحتى البصريون (الكفّارُ) ـ هنا يختلّ
الوزنُ! ـ البصريّون جميعاً، يؤجلون زواجهم إلى
(فرحة الزهراء!) مع علمهم جميعاً. أنّ ابنة النبيّ لم
تفرح يوماً طوال حياتها وطوال حياتهم!..
لكي تعرفَ المدينةَ، أنظـُرْ في وجهيها معاً؛ وجهها
الذي كانَ، ووجهها الآن. وأنت لن تعرفَ المدينة إلا
مِن أهلها: زوجتي وأنا!.
كانت شحيحةَ الثياب، تلبسُ الأبيضَ القصيرَ،
مثل البناتِ النوارس، لكنّها ـ في أيام الأديان ـ
تستعير عباءَةَ أمّها، وتشتري شمعتين: تَنذرُ الأولى
لضريح (عبد الله بن علي)، وتوقد الأخرى عند باب
كنيسةِ السريان بالعشار، وأنا معها، أتبسّم
لشمعتيها، وأضحكُ من عباءتها..
أما أنا، فمنذُ الحرب الأولى، مِن حروب مدينتنا
الثلاث، ووصيّتي مختومةٌ بالشمع.. وأنت، كي

تعرف المدينةَ، شاركْ أولادي فتَحَ الشمعِ مساءَ

وفاتي!

أوصيتُ ـ أنا الابنَ بلا رقمٍ، لأبوينِ أثني عشريين ـ

بأن أدفنَ في (مقبرة الحسن البصريّ)، فنحن

البصريينَ نخاف الغربةَ حتى بعدَ الموت!

يا أيّها الهائجونَ الصغار!

أتركوا توبةَ الناسِ للناسِ، لا تقتلوا الخاطئين!

كانت (رابعة العدويةُ) راقصةً... أو أكثر!

لكنْ. لم يقتلها أحدٌ، حتى أمتدّ بها العمرُ.

فصارت.. (عذراءَ البصرة!)..

البيوتُ الشناشيلُ، سوقُ المقامِ الحكايةُ عن تاجرٍ

لا يبيعُ! الدكاكينُ مِن حوله تشتري وتبيع..

الحكايةُ: تجّارُ سوق المقامِ المغطّى رأوا حزنَ

صاحبهم، كانَ ينظر للأرضِ.. تجّارُ سوق المقامِ

المغطّى، أشاروا إلى بعضهم بالعيون..

يروي (حامد البازي) مؤرخ البصرةِ الشعبيّ أنّ

التجّار اتفقوا بينهم بالسّر، على أن يغلقوا

دكاكينهم لمدة أسبوع، لكي يظلّ صاحبُهم وحده..

كي يبيع! ومنذ اليوم الأولِ للغلق، عَرف الرجلُ سرّ

إضراب تجّار البصرة الأسطوريين عن رزقـَهم.

تقول الحكاية: (كان يبيع.. ويبكي!)

البيوتُ الشناشيلُ أين المدينةُ؟ ذابتْ.. قرى!.. غزتها

العشائرُ. أينَ (الخوارجُ؟). صاروا (الدواخلَ؟).

أينَ الجسورُ؟ البناتُ الضحوكات؟ أين النوارسُ؟

حلّ الغراب!

وأنا كلّما طال عمري هنا؛ يكثـُر الغرباءْ!

وأنا سأقيمُ الصلاةْ.

لأجلِ الزهور التي أخطأتـْها البساطيلُ

ألاّ يدوسَ عليها الحفاة!

نشرت في الأديب عدد 171 تموز 2008

ألقيت في مربد 2008 بالبصرة

حكايةُ وهَب النصرانيّ

(كُتبت هذه القصيدة، لأجل التذكير برمز مسيحيّ عراقي من التاريخ، بعدما صار المسيحيون العراقيون يُقتلون من قبل حثالات الداخل والخارج....) أستشهد وهب وأمه مع الحسين (ع) بكربلاء

سنفترضُ الكوفةَ، أو كربلا، موطناً لـ(وهبْ)،

إذا كانت الكوفةُ تعني (عليّاً) ـ عليه السلام ـ

فلابدّ أن أبا وهبٍ كانَ ـ وهو المسيحيّ ـ مؤتمناً

مِن عليّ وبينهما ذمّةٌ...

وكانَ الإمامُ، إذا الفجرُ أذنَ، يخرجُ من دارهِ للقاء

الإلهِ: الصلاة.

وكانَ أبو وهبٍ ـ وليكنْ عاملاً في البناءِ ـ يرى

شبحاً،

وهو يعرف قامتهُ، ويعرفُ مشيتَه ـ رغمَ خيطين:

أسود خيطِ الظلامِ وأبيضَ خيطِ الضياءِ - ويعرف

أنّ (الأميرَ) بلا حرسٍ، ومِن دون سيفٍ،

ويعرف شهرةَ سيف الإمامْ!

وفي كلّ فجرٍ، يهمّ أبو وهبٍ أن يسلّمَ.. مرتبكاً،

والخليفة يسبقُهُ دائماً بالسلام!

ولابدّ أنّ أبا وهبٍ كلّما عادَ عصراً،

يُحدثُ زوجتَه - وليكنْ اسمها مريماً - وابنهُ وهباً

بحديثِ الإمام، وكيفَ يُبادئهُ دائماً، بالسلام،

ولتكُنْ مريمٌ في الثلاثين

ولنفترض وهباً ابن عامينِ، أو ابنَ عامْ،

ولكنّه صار يسمع - وهو المسيحيّ -

اسمَ (عليّ)..

ويعرف أنّ الإمامَ (أميرٌ)

وأنّ أباهُ.. فقيرٌ

فكيف يُصدّق - وهو ابنُ عامينِ -

أنّ الأميرَ عليّاً.. فقيرٌ؟!

وأنّ رعيّتهُ كلّها أثرياءْ

ففي الكوفةِ الناسُ صنفانِ: صنفٌ غنيّ، وصنفٌ

(عليّ)!

النهرُ فراتُ اللهِ الأوّلُ، بعدَ الأمطارْ

كنّا أطفالاً، نتطفـّلُ بين الأسماكْ ـ

والربّ يُبارك عُريَ السبّاحين الفقراءْ

كنّا صبياناً وبناتْ..

وجهُ النهر قماشٌ للسبّاح العُريانْ

والقطنُ المزروعُ لباسٌ لم يُلبَس بعدُ..

(القطـّانونَ): ستروا عريّ الكونِ. الأفقر

و (الصوّافون) ستروا عريّ (الصوفيينْ)..

والإنسانُ الأول، لم يلبس قطناً أو صوفاً

ولهذا. فأحبّ الناسِ إلى اللهِ

نبيّ عريانٌ، وإمام عريانْ!

ولذا. (وهبْ) لم يخجلْ من فأسِ أبيهِ البنـّاء!

ولذا (وهبٌ) علويٌّ ـ وهو مسيحيّ! ـ

و(الحلاّجُ) مسيحيّ.. بالصَلـْبِ

الفقرُ يوحّد أديانَ الفقراءْ!

* * *

في كربلا. خيّل على حوافرِ الخيلِ، قُبيلَ ألفِ عامْ

تجدّد الحروبُ بعضها ـ وتوقِظُ الحوافرُ

الحوافر النيام

وفوقَ صفحةِ الفراتْ:

ثلثُ رغيفٍ من هلال العشرةِ الأولى

مِن المحرّم الحرامْ

يروي (أو مخنف) حكاية استشهاد وهب النصرانيّ:

(ثم حملَ ولم يزل يقاتل حتى قتلَ جماعةً، ثم رجعَ

إلى امرأته وأمّه وقالَ:

يا أمّاه، هل رضيتِ عنـي؟! فقالت: ما رضيتُ حتى

تقتلَ بين يديّ الحسين!)

(وهبٌ) علويٌّ ـ وهو مسيحيّ ـ و(الحلاّج) مسيحيّ

بالصلب وبالفقرِ

الفقراءُ على دين الفقراء.

(ألقيت في مربد 2006

وفي مهرجان النجف ونشرت عدة مرات)

عجوزٌ يُحبّ مدينَتَهُ... بالأمس!

أنا لا أرى مدينتي الآن.. أتذكّرُها فحَسبْ.

أنا لا أعيشُ في مدينَتي الآن.. أسكُنها فحَسبْ.

أتَذكّر (الهوير) أولا، حيث ولدُت بالأمس..

(صالح بن صرّيخ) ـ فحلُ الكّنطار ـ جَديّ،

ما زال

يُطلقُ بندّقيته (الشوزني)، بباب غُرفة الطين،

حيثُ أولد أنا.. الآن، أطلق رصاصتين، أو ثلاثاً

لكي يُبكيَني! قالوا: تأخرتُ عن البكاء، ربما

نسيتُ

أن أبكي، حتى بَعدَ هلاهل المولّداتِ الأربع.

خافَ العملاقُ ـ النخلةُ، أن يكون حفيدهُ قد جاء

ا ـرسَ.. والويلُ لأمّي!

ـي النهر كنتُ أغرفُ الماء لمشحوف أبي، وهو يقف

(بالفالة) يخزرُ الأسماكَ ـ الأسماكُ عشائرُ ماءِ

الأهوار! ـ

والأسماكُ مموّهةً بالماء الصافي:

تبدو أصغر مما هي، وأبعدَ عن أماكنها.

وأنا الآن. ـ عمري ثلاثينان، وأكثر ـ أسترجعُ

رائحةَ الماء في نهر (الهوير)؛ ففي كلّ اغتسالِ

أسرقُ الماء إلى منخريّ، في كلّ يوم أعيدُ النهر

البعيد!

وخلفَ جدّي أخضرَّ كُلّي في البستان. ووراءه

أسير دوماً، حاملاً منجله ـ لا شيءَ مدينٌ للمنجلِ

أو للمنشار سوى أشجارٍ لم تُقطَع بعدُ ـ كنتُ قليلاً

أطولَ مِن منجل جدّي، وغيرَ معقوفٍ مثلهُ بعدُ ـ

أنا أتذكّر البستانَ الآن.. أتذكره فحسب

وأتذكّرُ جدّي، كان يحمل الشتلةَ مع أذان المغرب.

لم يكُن للهوير جامعٌ يومَ ولدتُ..

وحتى من دون جامعٍ، ولد في الهوير (عبدُ الزهرة)
ابن الحجّي عثمان الحجاج ـ في اليوم نفسه،
أو في الأسبوعِ نفسه من العام 1942 ولدنا
أنا وعبد الزهرة في عام الجوع ذاك، بعد
ستين عاماً ظل اسمي كاظم ـ ومن دون جامع! ـ
أما عبد الزهرة فصار أسمهُ (عزّ الدين سليم)، مع
جامعٍ كبير!
كانَ مؤذن الهويرَ ـ لا أتذكّر أسمه ـ رعدّي
الصوت،
يقف على متنِ بستانٍ وسط الهوير
الله وكبر! (يسكّن هاء الله، ويمسخ الهمزة واواً)
منذُ قليل أخذَ المنجلَ منّي جدّي (صالح)..
أتذكّر العملاقَ ينحني إلى نهرنا، مثلَ حفّارة ميناءٍ
ينحني.
يملأ الإبريقَ المعدنيّ، ويتوضأ فوق الشتلة المغروسة.
هكذا يُبارك أشجارنا دوماً بماءِ الوضوء.

* * *

أيُها البَصريون لا تروا مدينتكم الآن. تذكّروها

فحسب!

تذكروا مقهى (علي بابا)، مقهى (الشناشيل) في

البصرة القديمة،

مطعمُ حدّاد. مطعم زينل. مكتبة المثنى.. في

السبعينات حوّلها حُفاةُ

العقول إلى محلّ (أحذية حرّاق!) من أجل حفاةِ

الأرجل! مكتبة الشرق

في (حنّا الشيخ) ومكتبة (فرجو) في شارع الوطني،

كانتا تبيعان

الكتب، والصحف الإنكليزية فقط! مكتبة

(فيصل حمود) في البَصرة

القديمة، المكتبة العامة، مكتبات المدارس،

مكتبة المَركزْ الثقافي البريطاني،

تذكّروا سينما الحمراء الصيفي وسينما الحمراء

الشتوي.

سينما الرشيد، سينما أطلس، سينما الوطني

الشتوي والصيفي،

سينما السندباد، سينما شط العرب، سينما الميناء

وسينما الجمهورية،

ملهى النصر، ملهى الفارابي، ـ صاحب الملهى كان

يعرف ولع الفارابي

بالموسيقى والغناء!.. بار (ماري) آسيا بار، بار

(ماتيلدا)

بار (هافانا)، (فائدة): السكّيرون الشعبيون في

العراق كله، يسمّونه الحانة

والبار (مايخانة) يموّهون الخمرة بالماء، من باب

التقيّة.. ربما!

ونحن كنّا نمازح أغنية (عفيفة أسكندر): يا حلو يا

أسمرُ..

كنّا نغنّي: (هيّا بنا نسكرُ، جرجيس ينتظرُ، مزّتنا

عامرة، وخسّنا أخضرُ!)

كنّا يومها طلاّباً في كليّة الشريعة)! جامعة بغداد،

وفي الأعظمية! لكن

في الستينات: أبهى سنوات الكونِ كلّه، وليس

العراق فقط!

كانَ شعارُ الستينات: السعر العالي لكتابٍ يحميهِ

من الأميين!

لكنّ المَهرَ العالي: يُعطي الحلوات إلى الأميين!..

تذكّروا حديقة الأمة في الكورنيش، تذكّروا الأثلَ

والكورنيشَ،

في النوروز: تذكّروا حدائق الأندلس. تذكّروا البلَم

العشّاري

(جُندولَ الشرق).. تذكّروا ليلة رأس السنة (كانت

حسناواتُ البصرة ـ

المخلوقات من طينٍ حرّي! ـ يرتدين معاطفَ الفِراء

ويبتسمَن قبل

أربعينَ عاماً، أي والله وقد يضحكن!).. وفي تمام

منتصف تلك الليلة

الأمميّة كانت بواخر شط العرب، المزينة بالأضوية

الملونة،

تجأر في اللحظة نفسها عند الدقةِ الثانية عشرة

لساعة (سورين)..

وكنائس البصرة كلها تقرع النواقيس.. وليلتها

كانت أعمارنا تزيدُ

عاماً لكننا نصغر من الفرح عشرة أعوام!

أيها البصريّون أحبوا مدينتكم بالأمس! أحلموا بها،

قبل أربعين عاماً أو أكثر، احلموا في النهار، فالليل

ما زالَ غيرَ بصريّ!

قرئت في مربد 2008

ونشرت في جريدة (المدى)

في آخرِ الليلِ
أهذي لأولادي

الشمسُ ليسَ لها زرُّ مصباحٍ لكّي تنْطفئ).

أقولُ لأولادي.. فهي لاهبةٌ ومضيئةٌ، وفي مكانٍ

أخرَ.

تُشمّس الأرضَ.

وأنتمْ في ليلتكُم، فهناك نهارٌ آخرُ.. بعيد.

أرضكُم هي التي تنحني عليكمُ عن الشمسِ،

لكي تَناموا! والليلُ يأتي أصلاً لتمجيد (أديسون)!

إذا كان خيرُ الناسِ من ينفعُ الناسَ؛

فاخجلوا من نسيانِ (أديسون)!

أجدادكمُ كانوا يمجّدونَ ألشمعَ، في القصور

والأكواخِ،

ثم في الكنائس والمساجد، وغرفِ الزواج..

أقول لأولادي....

امسحوا مِن كتاب المدرسةِ الشروقَ والغروبْ؛

فهما وَهمانِ من صحرائنا!

واشطبوا مِن أمثالكم ((الطيور التي على

أشكالها..))

في الشرق. البيوتُ على سكّانها.. تقعْ!

إلهُ العراقيينَ الأولَ (شمش)

ما كان يغربُ ولا يُشرق.

قد يَنطفئ العراقيونَ هنا يوماً:

في سومرَ وبابلَ وآشورَ و.. البصرة..

وقَد لا يجدونَ مصباحَ (أديسون).

لكنَهم يُضيئون، مثلَ الشمسِ، هناكَ.. في المنافي!

قلبي لم يكبر، وما زال بحجم الكفّ،

قلبي لا شعر له كي يَبْيضّ

وقلبي لم يتوظّفْ، منذُ ولادته،

ولذا لن يتقاعدَ يوماً!

ولهذا. لا تخشوا! قلت لأولادي.

قلبي. يبقى مثلَ الشمسِ تحبّ الأرضَ،

وأنتمْ أرضي.

((لا تُحبّي أبناءكِ أكثر منّا..)) أقول لابنتي:

فأنا وأمّك نَملكُ دفتَر توفيرِ للحبّ،

وقرّرنا أن (نَسحبَه) كلّه لأحفادنا،

لكي نموتَ خفيفين.

والعمرُ قصيرٌ لا يكفي الأجسادَ

فكيف الأرواحُ؟

وأقولُ لأولادي:

إذا متُ فلسوف أقولُ لمحمود درويش هناك:

(هنيّة) يشرب القهوةَ يا محمود. لكنْ ليس في

الكافتريا!

خُلقَ الإنسانُ من طينٍ ـ قبلَ الأديان ـ

ف(سومر) قبلَ الأديان قالت للإنسان: اقرأ!

ولا تذبحوا الحيوانَ. أقولُ لأولادي

كلوا بَيضهُ وزبدتَهُ واشربوا حليبّه؛

لكي يصيرَ أخاكُم في الرضاع!

والسمكةُ تتعذّب بالصيّد، جرّبوا الغرقَ لدقائق!

هكذا هيَ تتعذّب على أرضكم.

والطيرُ يُسبّح لله، فلماذا نذبحهُ، ونكبّر باسم الله!

كم نَقتُل باسمك يا ألله؟!

ليستِ الجسورُ معابرَنا فوقَ الأنهارِ

أقولُ لأولادي القناطر والجسورُ كرامةُ الماء،

كي لا تدوسَهُ الأرجلُ!

أنا أبوكم، كتابُ الطين مِن (سومر)

اقرأوا وجهي غلافَ الكتاب

أنا لم أرتكب من الحسناتِ ما يكفي مِن أجلِ

الجنةِ!

صلّوا أنتم عنّي!

وأقول: انتبهوا للزهرة:

تعطي، منذَ خليقتها، للعينِ الألوانَ

وللأنفِ البهجةَ.

ولماذا الإنسانُ انتبهوا، يتقبحُّ منذَ خليقتهِ

حتى اليوم؟!

أتذكّرُ (نجمة داود) ـ لدّينا ستةُ جيران!

ولنجمةِ داود كذلك ستُ حراب!

الجيرانُ الستةُ حرباتٌ في خاصرة النهرين.

وأتذكّر (سويسرا).

كم أحسدها على جيرانها الثلاثةِ فقط!

كم أحسد (روسّو) المَولود في (جينيف)!

وكم أحسد (نيتشه) الألماني

و (دانتي) الإيطالي. كم أحسدهَم،

على جارتهم صانعةِ الساعات

وكم أبكي من جيراني الستة؟!

نحنُ الشعراءُ نسمّي عنقَ الحسناءِ (الجِيد)

وقاموسُ البدو يسمّي جِيدَ الحسناءِ.. (النحر!)

آخرُ ما قلتُ لأبني (يوسف):

اذهبْ وانتخبْ!

تعوّدْ على الانتخاب.

حتى قميصك اخترهُ بنفسِك.

لكي يكون حقاً (قميصَ يوسف!)

وهكذا.

في آخر كلّ ليلةِ أهذي لأولادي!

نشرت في (طريق الشعب) عدد 65 للسنة (76)
الأربعاء 3 ت ثاني 2010

جداريّةُ النهرين

أرضُ السواد:

الأمهاتُ على السواتر، ينتظرنَ إجازةَ الأبناء،

من يأتي.. ومَن (يُؤتى به!)

أرضُ السواد.

في الحروب: الجنينُ تكيّفهُ الأمُّ خوفاً عليه،

ليخرجَ.. أنثى!

أرضُ السواد:

الأمهاتُ على القناطرِ، ينتظرنَ المدّ،

يأتي بالغريق!..

لا تَفتَحي الشبّاكَ

إنّي لا أجيدُ رؤية الطيور لا تطير.

أو لا أريد رؤية البلبلِ ممنوعاً عن الغناء!

لا تذكري الأطفالَ؛

ماتوا قبلَ أسنانِ الحليب!

* * *

أرضُ السوادِ:

الرملُ ـ ميراثُ الجدود ـ

ما زال يعمي أعينَ الأحفادِ

عن أفقٍ جديد.

أرضُ السوادِ: الميتُ فوقَ الأرضْ

والحيُّ تَحتَ الأرضْ

كِلاهُما فريسةٌ للدود!

أرضٌ السواد: الغيمةُ حزنُ الرّب

والأمطارُ دموعُ اللهِ

على قتلِ الأطفال.

أيُها القادرونَ على القتلِ

متى تتعبونَ مِن قتلنا؟!

السكاكينُ طيّبةٌ في المطابخِ

مشبوهةٌ في الجيوب!

رغمَ أنفِ السواد:

تَغسِلُ الفاتناتُ الخدودْ

كي يصيرَ الصباحُ نظيفاً..

والعمرُ قصيرٌ..

لكنْ حمداً للهِ.. الليلُ طويل!

في الحروب بأرضِ السوادْ:

تدفنُ الأمهاتُ بنيهنَّ

والجَدُّ يرثي الحفيد.

في الحروبْ: كيف لا يخجلُ الموتُ مِن نفسِه؟!

الجدرانُ حكوماتٌ، والأبوابُ شعوب.

والشُبّاك الصوتُ الخارجُ

والضوءُ الداخلُ.

أيُها السومريّ الأخير:

حتى في الغربةِ

لا نبحثُ عمّن نعرفُهُ

بلْ عَمّن يعرفُنا!

أيُها الخليفةُ. أيُها الخليفةُ

اختَرْ: إمّا (بيتَ الله)

أو (بَيتَ المال!)

أيُّها الخَليفةُ. نحنُ طيورُ النهرين

لا نقَعُ على أشكالنا..

الطيورُ لا تقَع يا مولانا

الطيورُ تحطـّ!

لا مجدَ للخفّاش إلاّ في الظلام

والنوارِس تخسرُ ألوانَها

إذ تَحوّم حَولَ الشِراع

لهذا. ببابِ الخليفةِ

تفقدُ ألوانها الشعراء!

أيُها السومريّ الأخير

منذُ سَبعينَ قرناً، وها أنتَ وحدَك:

فمن قبل أن تظهر الأرضْ كانَ الفُرات

ومن قبل آدمَ كانَ الأديم

ومن قبل حَواءَ كانت (سدوري)

نحنُ أبناءَ أرضِ السواد

نحنُ لَمْ نتكئُ بعدُ.. هَلْ تتكي نخلةٌ؟!

نحنُ لمْ نشتكِ البّردَ والحَرّا

نحنُ لمْ ندخُل الحربَ بعدُ

ولَسْنا الذينَ هُزِمنا.. الخليفةُ فرّا!

اصرخْ معي:

للوطنِ المقسومِ بينَ العِرقِ والدينِ

أبكي على عُمري

أرثي لستيني.

لا تماثيلَ للغرباءِ هُنا

فالملامحُ يرفُضُها الطينُ.. يا سومريّ

أيُها السومريُّ الأخيرْ:

مَنْ يشأ أن يَتشرّف باسمِ العراق؛

فَليَغسِلْ أعينَه بِمياهِ النهرينْ

وليَقطَعْ سُرّتَهُ الأخرى!

هذا وطنٌ لا يَحتملُ (الحوُلانْ)

أصحابَ الوطَنينْ!

نشرت في (الصباح) ـ العدد 813

19 نيسان 2006

عينُ الزيتونِ الأسود

هـَلْ حقـّاً نـَحمي بالمَذبوحينَ رِقابَ الباقينْ؟

أم نُرخصُها للسكّين؟!

في مَلفّات شُرطةِ واسطْ. قضيّة فتاة تَعملُ في شَركة

(أكاي) للأدوية. سنسمّيها (يسرى). للمناسبة: زارَ

عراقيٌّ

(يسرى سعيد ثابت)، وهي معتزلةٌ منذ سنين، في بلدٍ

عربيّ،

وروى أنهُ رأى في غُرفة استقبالها صورةً للزعيم (عبد

الكريم قاسم)

الذي قالتْ لضَيفِها إنه أنبلُ رجل أنجبهُ العراق، وهي

تعتذرُ

عن عدائها لهُ. بعدما اكتشفَت خِسّةَ رفاقها

السابقين!

نَحنُ المستضعفينَ لا قتلةَ في صفّنا نقوى بهم،

فكلّ القَتلةِ هُناك. لا نملكُ غيرَ رقابنا

ولا يملكونَ غير السكاكين!

وفي مَلفّات شُرطة واسط، قضيّة أخرى

فتاة أبوها يَبيعُ العَصير، سَنُسَمّيها (زينب)..

نَحنُ النُحَفاء خلاصاتُ الناسِ

لمَ نأكُلُ لحمَ الآخر كي نَسمَن.

نَحنُ الآذانُ ونَحنُ الأنف.

لم نَحتَجّ لأنّا نَحملُ ثُقلَ النظـّارات لأجل العَينين!

الدود السّاكن في التفاحةِ

يَحمي التفـّاحة من أنْ تؤكل!

وتقول مَلفّات شُرطة واسط أنّ (يسرى) موظفة

شركة (أكاي) للأدوية كانت معروفة بين

(اللطيفية)

و (المدائن) منذُ زمن (السيد الرئيس)..

نَحنُ الدامعينَ وريثو عيون البُكاء

العيون التي تَبكي أكثر مما تَنظر..

قمرُ الفقراءِ الرّغيفْ

ومِن كُثرِ يعرقُ الفُقَراءُ، الرّغيفُ نظيف!

وتقولُ ملفّات شُرطة واسط أنّ (زينب) ـ التي أبوها

يَبيعُ العصير ـ كانتْ موظـّفة في دائرة حكومية....

وكانتْ في سيّارة مع موظفات أخريات..

لا تحسِدْ نخلةَ بُستانٍ تبقى بعدَ مماتك.

النخلةُ دوماً مِلكٌ للأبناءِ

لا أخشى مِن قاضٍ. فأنا (محكمتي).

أستيقظُ في نصف الليلِ

لأبكّي أخطاءَ نهاري!

تزعمُ نظرية المؤامرةِ العرّبية، أنّ المغول الذين

اجتازوا

بلاد فارس الشّاسعة إلينا. وعبروا شعابها ومتاهاتها،

كانوا محتاجين إلى (أبن علقمّي) يدلّهم على

بغداد!..

وأنّ الأحباش النصارى، الذين جاءوا لهدم أصنام

الكعبة،

كانوا محتاجين إلى (أبي رغال)، لكي يدلّهم على

طريق مكة!

وأنّ الأمريكيين محتاجون إلى (خونة) لكي

يقنعوهم

بإسقاط (السيد الرئيس)!..

.. البنت (يسرى) موظفة شركة (أكاي) للأدوية،

ذبحت

بيدها ثلاث نساء وأربعة رجال، بين اللطيفية

والمدائن..

تقول ملفّات شرطة واسط ـ..

علّمتنا الأساطيرُ أن الشعوبَ تُعظـّم أربابَها

كي يليقوا بها!

نحنُ الأجسادَ الأشباحْ

لا يظهرُ منّا في المرآة سوى الروح!

أرأيتَ عيونَ الدجاج؟

تنطفي بعد ثانيتين مِن الذبح؟

هل أبصرت قشورَ الزيتون الأسودِ، لون الزيتون الأ[illegible]

المذبوح.

احذر عينَ المقتول.

فهي عقابٌ حتى الموتِ

لمن لم يُنقذ ذبحَ المذبوح!

.. (المقاومون) أنزلوا الموظفات من سيارة (الكيا)

تقول ملفّات شرطة واسط ـ .. ومعهنّ بنتَ بائع

العصير (زينب)...

مطرٌ قاحل مثلَ طوفان (أوتونبشتم).

وأنا مثلُ طفلٍ رضيعٍ يُدغدغهُ الأهلُ

كي يُضحكوهُ،

فيخذلهم بالبُكاءِ على.. ((موطني!))

ويخذلهم حينَ يضحك ـ وهو يلعب ـ ثُم يَموت!

بعدما صارَ كلُّ صغار العراقْ

بفَضل الفتاوى ـ

طريقاً إلى جنّةِ البلهاء!

هلْ إنّا أحياءُ بما يَكفي، كي نَدفنَ موتانا؟!

إنّا أحفادُ تُعساءْ

يحكمهم أجدادٌ ماتوا منذُ قرون!

منذُ عشرينَ قرناً، حجزتنا (الحجاز) عن الشمسِ!

خاتمةُ سجلاّت شرطة واسط:

أنّ (المقاومين) اتصلوا ببائع العَصير، طالبين فديةً

لإطلاق ابنتهِ المخطوفة ـ يبدو أن (زينب) ليست

متزوجة، وإلاّ لاتصلوا بزوجها لا بأبيها:

وتقولُ الحكاية: أن البنتَ طلبت التلفون من

الخاطفين.

أو هي خطفتهُ منهم.. صَرَخَتْ بوجه أبيها:

لا تدفعْ شيئا! فأنا لستُ ابنتك بعد الآن!..

أريدهم أن يقتلوني! لقد اغتصبوني يا.. لم تُكمل..

أبي

جَدّدِ الشمسَ حتى نرى

وفي الصبحِ أوقد لنا قمرا

فلا في المساء ولا في النهار نرى

نحنُ أبناءَ هذا العراقِ

تعِبنا من الركضِ صوب الورا..

غزتنا البداوةُ مِن ألف عام

وكلّ مدائننا ختّنتها القرى!

منذُ عشرينَ قرناً عمينا

حجزتنا (الحجازُ) عن الشَمس

والبدو اغتالوا حتى بيتَ (سحيم)

«وماذا تبتغي الشعراء منّي؟»

أي سخيفٍ يريده الشُعراءُ من رجلٍ جاوزَ الأربعين؟

يا بنت بائع العصير. أيتُها العراقية مِن عهد (زينب):

إني لستُ واثقاً من الاسم القديم لمدينة (القائم)

لكنني خمّنت إنها كانت الطريق التي عبَرَها (ابن

زياد)

برأسِ الحُسين، وخلفهُ سبايا (كربلاء) أفلا يدلّ

على هذا

اسم قرية (الكرابلة) ـ أي الكربلائيين؟!ـ

فبإسم العراق الذي صحّح الكونَ منذ قرون سنصحّح بيت (سُحيم)
الذي خرّبته البداوة

وماذا تبتغي الشَعْراءُ منّي

وقد جاوزتُ حدّ الأربعين

وهل للبدو من مجدٍ سوانا

وقد ملكوا بنا لغةً ودينا

ملاحظة:

الشَعْراء ـ بفتح الشين وتسكين العين:

المرأة طويلة الشعر مثل الجيدا. وهو أقرب

إلى الشعر من الشعراء جمع شاعر.

ألقيت بمهرجان المربد

ونشرت في (الثقافة الجديدة) عدد 361 ـ 2005

أنظُرْ بعينٍ من نهْرَين!

اغسلْ عيناً بدجلةَ وعيناً بالفُراتْ.

جَدّدْ عينيكَ دوماً، وأنظرْ بعينٍ مِن نهرينْ

فَسّرْ (لنهريك) ما يُبصران

عَرّ جِلدَكَ لشَمسِ العراق

فلا جنسيّةَ لك إلاّ بالسُمرةِ

جَدّدْ سومريَتكَ وبابليتَكَ، وجَدّدْ (بغدادَ)

خُذْ بصيرَتكَ مِنَ (البصرة)

مسّ (ميسان) بالخيرِ ـ خيرِ الأهوار ـ

وعمّر (العمارة)!

مَدّدْ رجليكَ عروقاً إلى الطين

وكُنْ أنتَ نخلَتكَ، تكنْ نخلتنا

اسمعْ نشيدَ ((موطني)) أوّلاً..

وانظرْ هلْ تَبكي مثلي، أو لا تبكي

تأكّد من عراقيتكَ بالدّمع!

ليسَ عراقيّاً مَن لمْ يُبكهِ (الحسين)

مَن لمْ يبكهِ (وهبُ النصرانيّ) وأمّه..

مَن لم يبكهِ ((موطني))!

ثـبّتْ الدّمعِ عراقيّتكَ أولاً؛

ثمّ كنْ ما تكونْ:

كُنْ (قرمطيّاً). كُنْ (خارجيّاً) كنْ علويّاً. كُنْ

عُمريّاً..

كنْ كلّ هؤلاءِ، لكنْ.. مكشوفَ الوجه!..

فَعارُ الماضي وحدَهُ الذي يُلثّم الوجوه!

توضّأ أو تيمّم، صلّ، أو لا تصلّ

أنا لا أصلّي!

أنا أتوضّأ، دونَ صلاةٍ، وهذي شماليْ،

أعفّ وأطهرُ ممّن يصلّي نهاراً، ويسْرق في الليلِ خبزَ

عيالي!

سمّ القبائلَ بأسمائها ـ فلم يبقَ لها غيرُ الأسماء!..

سَمّ البطونَ والأفخاذَ، وسمِّ الرقابَ.. المقطوعة!

سَمّ العربَ العاربةَ والعربَ البائدة..

(تقول الجريدة):

((تسرقُ العشائرُ النفطَ الذي يمّرُ بها. والشيوخ

يتلقّونَ

ثمنَ الحراسة!). و(الحراسةُ) ليست بين قوسين في

الجريدة!

سَمّ (العماليقَ) وسمّ الأقزامَ

جدّدْ أجدادَك إن استطعتْ!

تفاءَلْ (بعدنان) ـ لأنه في القاموس مثنَى (عَدْن)

و (عَدْنُ) ـ في القاموس (الجنّة)

وتشاءمْ مِن (قحطان)

قحطان، في القاموس، مثنّى (للقحط!) ـ

((مسؤولون في دوائر الدولة والمحافظات الجنوبيّة،

طالبوا صراحةً بفتح المجال أمامَ تهريب النفط

العراقيّ،

وغضّ الطرف عن قوافل الصهاريج والسفن التي

تنقلُ

النَفطَ المَسروق!) ـ تقول الجريدة ـ

ونقول: هي بدايةٌ مثمرةٌ لمشروع (تقليم الجنوب!) ـ

ثبّتْ على رأسِك عقالك!

ومسّدْ بإصبعينِ شاربَك!

((في كلّ يوم نخسر نصف مليون دولار، لأنّ

العشائر

تغلق ثلاث آبار نفط.. مطالبةً لشيوخها بأجور

الحراسة،

أسوةً بالشيوخ الآخرين!))

و (الحراسةُ) ليست بين قوسين في الجريدة!

سَمّ القبائلَ بأسمائِها، فلم يبقَ لها غيرُ الأسماء!

سمّ البطونَ والأفخاذَ وسمّ الرقابَ.. المقطوعة!

وليتذكّر كلٌ منّا اسم قبيلة في الماضي،

كي نخجل منها الآن!..

أنا لا أصومُ!

أنا صائمٌ منذُ ستين عامْ!

أجوع وآكلُ

لكنني لا أبسملُ عن لقمةٍ بالحرامْ!

البلدان بيوتٌ، كلّ بلدٍ بيت. العراق وحده بيوت،

بداخلها بيوت، بداخلها غرُفٌ للنساءِ، وغرفٌ للرجال

والنساءِ (اسمُها مخادع).. المخدع غرفةٌ بداخل غرفة

غرفٌ تخدع غرفاً. غرف للضيوف، بداخلها جوامع.

بداخلها

مدارس، بداخلها أنهار، أديان، مذاهب، كنائس.

تكيات. كفّار. عُبّاد في العراق آشوريّون. قحطانيون.

كلدان. مندائيون. أنباط. غجر وآريّون. أزارقة

وسودان. في العراق لغات، للغات مدارس:

مدرسة العراق البصرة. مدرسة الكوفة. مدرسة بغداد.

والبصرة قاموس العربِ الأوّلُ. البصرة (عين)

الفراهيدي..

وفي اللغة أفعالٌ. أفعال خيرٍ، وأفعال خِسّةٍ.

وفي اللغة أسماء. أسماءٌ موصولة، وأسماء (مقطوعة).

وأسماءُ إشارةٍ ((للخرسان!) وفي اللغة ضمائر:

لكلّ عراقيّ ضميرٌ. والضمائر مستترة وظاهرة..

(أنت) (أنا) عراقيّ. هو. هم. هنّ.. (هو) جاري

أو أخي. و(هو) عدوّي متى شاء! (هم) أشقّاؤنا،

وقاطعو رؤوسنا متى شاءوا!. نساؤهم،

يرقصنَ في مآتم ذبحنا!..

جَدّدْ ضميرك العراقيّ الآن.

جَدّد آشور وسومر. جَدّد الكوفةَ

جَدّد البصرة. جَدّد ميسان. جَدّد الأنبار.

جَدّد الجبالَ هناك، جَدّد (عليّ بن محمد).

جَدّد (كاوه الحدّاد). جَدّد دِلالَك.

أزِل الغُبارَ عن عِقالِك. جَدّد ((موطني)) قبل

أن تصومَ. قبل أن تصلّي. قبل أن تحجّ.

قبلَ أنْ تزكّي...

أنا لا أزكّي!

فمِن أينَ ليْ؟

وحتى لِحافي.. قصيرٌ على أرجلي؟!

كتبت في 25/ 3 / 2005

وقرئت في مربد 2005 بالبصرة

لِلعَلَمِ الأخيرِ لونُ البُستان

أولاً: قصيدةُ اللّونِ الأحمرْ:

كَرَبُ الجنوبِ ملامحي أنا،

وعُمري خمسةٌ وستّونَ صبراً

في الشرق عقوبَتُنا طول الأعمار! ـ

وأنا رضيعٌ تَرَبّتْ معي ألواني:

فمِن أسناني سرقَ الحليبُ بياضه

كانتْ مرضعتي كريمةَ الثديينِ ـ

وشَعري وجهُ (أرضِ السواد)

مِن الرُعاف الأوّلِ عَرفتُ احمرارَ دمي.

ومِن عقوبات الركضِ الحافي.

ففي زماننا كان القتلُ

أقلّ مِن موتِ السرير

وكان القتلةُ مطلوبينَ لا طالبين.

وحتّى في الأعياد، أهلُنا لا يعلنونَ

دِماءَ الأضاحي.

ولا يذبحون الديوك إلاّ ((للعبّاس!))

قمصاني لا تتبدّل إلا في المواسم:

لبستُ الكتّانَ بلونِ وجوه الغرقى

والصوف بلون الخوصِ اليابسِ

لكنّي أخجلُ مِن قمصانٍ حمرٍ حتى الآن...

ومن كتابِ القراءة الابتدائي

مِن شِعر (صفّي الدينِ) ـ

عَرفتُ أجدادَنا، يتباهون بالدمّاءِ

تقطرُ من مواضينا!

ومِن المُعلّم الابتدائيّ عرفتُ (الماضي)

هوَ السيفُ.. لا التاريخ!

فمِن شِعركم يا جدّي (صفّي الدين)

صارَ الدمُ اللونَ الأولَ

في أعلامنا!

* * *

ثانيا: قصيدةُ اللونِ الأبيض:

تَذكّر جاراً (قلبُه أبيض)!

لا تتأكد مِن ألوانَ القلوبِ

فالتشريحُ حرامٌ في الشرعِ

عروسُ قريتنا الأولى

زغردوها بالأبيض

كانت واضحةً حتى لِعريسٍ أعمى!-

وكانت ضحكةُ العروسِ

مِن الحليب كذلك.

فأمّها - مثل أمّي - كريمةُ الثديينِ

وَوَجهُها حليبٌ كذلك

كأنّها مِن ثوبِ زفافٍ خُلقتْ

لا مِن طين!

والحسناواتُ لن يحتجن إلى مرايا،

لأنهنّ متأكّدات!..

وفي الخِتانِ دشداشتي من (الململِ) الصريحِ

كأنني عروسُ أهلي-

أنا والعروس طيرانِ من بياض

والطيورُ على ألوانها تحطّ،

لا على أشكالها تقع! ـ

أحببتُ الأبيضَ أبيض

ليس مِن كتاب القراءة

ولا مِن شعر (صفيّ الدين).

بل من قلب جارنا.

ومِن أسنان ضحكة العروس

وأحببتُ الأبيضَ من علم الخميس المدرسيّ

وحينَ بلغتُ الثلاثينَ الأولى

عرفتُ الأكفانَ.. آخرِ ألوانِنا!

ثالثا: قصيدة اللونِ الأسود:

امسح عباءةَ أمّك

امسح دشاديشَ عاشوراء

عن ملمَلِ الختانْ

امسح مجرى كحل الحسناواتِ عن الخدّين

امسَحْ بُكاء الأمّهات في مطابخهنّ

بحجّة البصل! ـ

تقولُ اليونيسيف:

(العراقيات أنظفُ النساء عيوناً!)

امسح الكربلاءات عن وجه (أرضَ السواد)

أغمضْ عُيونَ المَذبوحينَ (بذَنبِ أسمائهم!)

أغمضْ عن المرآة وجوهَ الأطفالِ؛

بلا آباءَ، بلا أعيادَ، بلا أعمار!

وأرجعْ إلى قصيدتكَ الأولى:

أبعدِ الأحمرَ عَن علَم العراقِ (لونَ السيوف!)

وأرجعْ إلى قصيدتكَ الثانية:

أبعدِ الأبيضَ عن علم العِراق (لون الأكفان!)

وأرجع إلى قصيدتك الثالثة:

أبعدْ لونَ العباءاتِ

عن عَلَمِ العراق!

البساتينُ - ليسَ العباءاتُ -

(أرض السواد!)

نشرت في جريدة الصباح العدد 1114

16 آيار 2007

القصائدُ عشناها.. لن نكتبها!

هذا نصٌّ عنيد، ألحّ عليّ، وجاء هكذا. أرجو أن

تساعدوني على تجنيسه،

لكنْ مِن دون تعجّل!

هل نحن موجودون بالشِعر؟ أم في الشِعر؟

أم هوَ الموجود فينا؟

لا أعني الشعرَ المكتوب بالسخامِ

المخمّرِ (الحِبر).. ليسَ الشعرُ هو المكتوبَ، الشعرُ

يُعاش أوّلاً: يُرى ويُسمع.

لكنْ نكتبه أحياناً، كي لا ننساهُ، أو قد نكتبهُ

لمَن لم يعِشْه مثلَنا، أو معنا، أو لم ينتبه إليهِ

أصلاً..

قبلَ الكلمات المكتوبةِ بحبر السخام، كانت هناكَ

أشياءُ الشعر أوّلاً: الوردةُ الحمراءُ، البيضاءُ،
الصفراء.. هي شعر الحديقةِ الصّامتُ، قبل أن
ننطقَ:
وردةٌ حمراءُ. وردةٌ بيضاءُ. وردةٌ صفراء.. الشِعر
جَمال. والشّعر المكتوب جمالٌ مسجون: شاهِدْ
صورةَ
جنودٍ مجازينَ، يدخلون إلى مكتبةٍ عامة، بثيابهم
العسكرية. إنها صورةُ شِعر. لكنْ ما إن نكتبْ
تلكَ الصورةَ، حتى نحتاجَ إلى تعليقٍ يقول:
((الجنودْ. في إجازاتهم يدخلونَ إلى المكتباتْ
فمتى تدخل المكتباتُ إلى الثكنات؟!..))
هو تعليقٌ زائدٌ عن الشعر.
(الموناليزا) شِعر مكتوبٌ بالألوان. أنا وقفتُ أمامَها
في (اللوفر) قبل ثمانية وثلاثين عاماً، مع مبهورينَ
آخرينَ: مبهورين صادقينَ وكاذبين.. لكنني عشتُ
شِعر (الموناليزا)، قبلَ أن ترسَم: تلصّصْتُ على
حجرة قصرها، تلصّصت على (دافنشي) كذلك.

لم

يرني الاثنانِ. كان هو يُجهّز قماشتهُ للرسم، ويُعدّل

جلوسَ الحسناء الخجلى.. هي ما ابتسمتْ، لكنّه

أمرَها

بذلك! أنا رأيتُ في خياليَ الشعر الحقيقيّ، قبلَ

أنْ يُرسَم، ويُعلّقَ في متحف!..

وأنا تخيّلت مشهداً تلصّصت عليه، فوق سطح

بيتٍ بصْريّ قديم:

أمّ بثياب سود، تُعلّقُ قمصان أبنائها، على

حبل الغسيل.. بين القمصانِ قميصٌ عسكريّ.

ناشفُ الدّم مِن سنين. وفي صدر القميص ثقبان في

أسفل القلب... ولكي تكتملَ

القصيدةُ المكتوبةُ، فلابدّ أن يسأل شاعرُ

الخيالِ المتلصّصِ الأمّ:

((يا أمّنا في الأعالي؛

أحقاً تظنيّنَ أنّ الشهيدَ

إذا عادَ مِن موتِه ـ

لن يغيّرَ قمصانَه؟!..

ولسوف أثيركم بصورتين أخريين:

هما صورتان شعريّتان، لم أكتبهُما بعد أعني.

لم أجرؤ على تخريب شعريتهما بالكتابة:

كان لي صديقٌ كُرديٌّ أعمى في كليّة الشريعة

(1964)

هو (عبد الكريم محمد نادر) تجرّأتُ يوماً وسألته:

هلْ تحلُمُ مثلنا يا عبد الكريم؟!..

لنْ أستطيع كتابةَ ابتسامته الحزينة، وهوَ يُجيب:

أنا لا أرى صوراً في أحلامي! أسمعُ أصواتاً

فقط!!

هل يستطيعُ شاعرٌ في الكون أنْ يرينا حُلماً.. أعمى؟!

وصورةً شعرية أخرى أهديها للقصّاصين. فهي

لا تأتي بالشعر أبَداً رواها لي صديق:

في بغداد.. ساحة الأندلس. بعد النصف الأول

من 2003 ينزل رجل سبعينيّ، مِن سيّارة العائلة

يوميّا، يستعير كرسيّاً من مطعم يقابلُ بناية المقرّ

الجديدِ للحزبِ القديم.. يجلسُ العجوز، يُحدّق في

لافتة

الحزب ـ من دون أن يرمش! ـ لكي يتأكد من

وجودها

حقاً! بعد ساعاتٍ من كلّ يوم، تعود سيّارة العائلة،

في موعد الغداء، يقودها ابنُ الرّجلِ أو أبنته، لكي

يعيداه إلى بيته! (ملاحظة): نسيتُ أن أوردَ

هذه الحادثةَ الشعرية، في مقالتي لدولةِ رئيس

الوزراء،

عن موضوع غلقِ ذلك المقرّ الجديد للحزب القديم!

ألقيت في المربد في 15 / 4 / 2011

يوسف يَرسُم..

يفتّشُ يوسفُ عن موسم للرصاصِ

يُعرّض يوسفُ قمصانَه للرّصاص

ويأكلُ في الصّيف تمراً وخُبزاً

وفي موسم (الطرد)[1] يأكلُ يوسفُ يوسف!

ولكنّه يبحث الآنَ عن فرصة للقراءةِ،

أو ساعةٍ للحديثِ؛

فيختارُ مقهى...

وينشرُ يوسفُ أوراقهُ

يرسمُ الدّربَ.. لكنّه يرقبُ الآخرينْ

يلعبُ الآخرون! ـ

فيُرجئُ يوسف تخطيطَ إعدامهِ

يرجئُ الموتَ

* * *

---

(1) ـ عمال الثلج يطردون في الشتاء من عملهم.

يُفتّشُ في (معملَ الثلج) عن موسمٍ للرصاصِ
يُحدّثه عاملُ الثلج عن أمنياتِ ابنتيه:
أتدري؟.. تريدانِ ثلجاً،
ومِن أين؟!
يمتصّ مِن يوسف الصّيف
يمتّصهُ كلّه الصّيف
يمتّص مِن عامل الثلج
مِن معمل الثلج..
لكنّهُ.. يبحث الآن ـ عن فرصةٍ للقراءةِ
أو ساعةٍ للحديثِ
فيختارُ مقهى!
يُعلّقُ يوسفُ قُمصانَهُ باتجاهِ الرّصاصِ
ويَبحثُ عن موضعِ الخوفِ في القلب، في قلبه،
يرسمُ الموضعَ الآن فوقَ القميص
فإنْ أطلقوا ـ يقتلوا خوفَه!
(يَظهر المخبرونْ..)
يدّقون أبواب كلِّ (الرباطِ)[1]
فتحصيهمو أعينُ العابرين

(1) ـ الرباط منطقة شعبية في البصرة.

ويُحصى صغارُ الرباط الحفاةُ:

حذاءً..

حذاءينِ..

عشرينَ..

يحصيهمو العابرونَ

ويوسف يحصي صغارَ الرباطِ الحفاةِ

وينشرُ أوراقه

يرسمُ الدرب والعابرين

ولكنّه يبحثُ الآن عن فرصةٍ للقراءةِ

أو ساعةٍ للحديثِ؛

فيختارُ مقهى... ويشطُبها!

ثم يختارُ زنزانةً!

يُغمضُ الآن عينيهِ

يَنْدسُّ بينَ الرّطوبةِ والانتظارِ

فـليْلُ التوجّسِ يأتي سريعاً

وبغدادُ لم تغتسِلْ.. بالنهار

كتبت في 16 / 3 / 1974
أعيد نشرها في جريدة طريق الشعب
في 31 آذار 2011

مالا يمتلكُهُ الدكتاتور
يمتلكهُ الشّاعر

جلالةُ سيادتهِ طويلُ الأعمار. إلهاً كانَ، في أزمنةِ
الأساطير، وإمبراطوراً، ثمّ مِلكاً، منذُ ألفِ عام،
ورئيساً في أزمنةِ الانقلاباتِ. منسوخٌ في أولاده
الشرعيينَ، وفي أحفادهِ.. قد تَحتفلُ الجماهيرُ بالقرنِ
الثالث الهجريّ على ميلاده، وبالقرن السّابع الميلاديّ
على تتويجه!...
هو لا يشيخُ، الزمنُ مِن جواره يمرُّ.
للدكتاتور تيجانٌ ملكيّةٌ جمهوريةٌ مرصّعةٌ
بأحجارنا
الكريمةِ (اللئيمة) ـ ينعتُها المعارضونَ المنفيّون ـ
له قصرٌ صيفيٌّ، محروسٌ بالتاريخ، وقصرٌ مقاومٌ

للتاريخ،

وثالثٌ للضيوف. له جيشٌ مليونيّ (لحماية حدود

الوطن).

ومليشيا لحماية(حدود) الله!..

لمولانا شرطةُ نهارٍ أنيقون ودودونَ - مع السيّاح -

(يأتي هؤلاء لرؤيتنا أحياناً وللتفرّجِ علينا، قبلَ

أن ننقرض!).. وشرطةُ ليلٍ دامس - في شرطة الليلِ

خالعو أكتاف - يعرفون مِن أين تُخلعُ الكتف! -

وقالعو أظافر و.. (ملاّحون)!..

في الأصل التأريخيّ: الملاّحون شغيلةُ السفن التي

كانت تنقلُ الملحَ، أيامَ كان ثميناً، ولا يتسبّب في

رفع

الضغط.. أمّا في ليلِ (الأمن): الملاّحون: واضعو

الملح في أماكن الأظافرَ المقلوعة!...

مولانا ليسَ متديّناً بشكلٍ دائم، يتديّن في

المناسبات،

وحين نخسرُ الحروب. لكنّه يحفظ سورة

((الكوثر)) عن

ظهرِ قلبْ، متوهماً أنها تقصده شخصياً، ويتشاءمُ

مِن (سورة الأحزاب!)..

بين يديه ملكةٌ ـ أميرةٌ ـ سيّدة أولى

السيّدة الأولى، البنتُ الأحلى منذُ ولادتها، حتى لمّا

ماتتْ. ما ماتت إلاّ (بالسكّر!)..

أمّا السّراري فكنّ مختلفاتٍ: عشيقاتُ الدكتاتور

صبايا

خفيفاتٌ جدّاً؛ فبكفّ واحدةٍ يمكن رفعُ إحداهنّ

إلى السرير!

ولهنَ جميعاً أسماءَ (ألف ليليّة)، ففي صدر (بدر

البدور)

رمّانتا نهدينِ مِن هُلامٍ رجراجٍ، كلّ رمّانةٍ تبقى

تهتزُ

ربعَ ساعةٍ من نَقرةِ أصبع!..

وللخفيفةِ (أروى) خَصرٌ ـ حتى مِن دونِ حزامٍ ـ

يَفصل

أعلاها (إقليماً) عن إقليم التحت! ولها مشيةُ رقصٍ

إذ تَسكرُ، حافيةً من كلِّ ثياب الليل.

في إحدى السكرات همس الدكتاتور في أذن

(زبيدة):

حين تكونين معي، أجلسُ إلى جنبكِ من جهة

واحدة، وحين

تغيبينَ عنّي تجلسينَ إلى جنبي مِن جميع الجهاتِ!

كلامٌ

فَنيٌّ. لكّن شاعرَ البلاط لم يُخبر مولانا ما إذا كان

هذا

من كلام الأجداد أم هو قصيدةُ نثر!

للدكتاتور وزراءُ لا يعدّون، يذكّرهُ السكرتيرُ

الأوّلُ

بأسمائهم همساً، حين يجتمع بهم، بعدَ كلّ حرب..

وهو يُخطئ

أحياناً حتى في أسماء الأمراءِ من سيّدة نسائنا

الأولى..

ولهُ سفراء منسيّون في بعض الدول التي لم يُحاربها،
ولهُ حُمامٌ زاجلٌ ينقلُ رسائلهُ الشخصيةَ إلى الملوك
والرؤساء. وإلى عشيقاته المرشحاتِ هناك مِن قوّادي
السفارات. ولهُ قراءٌ مُلخّصون لما تنشرهْ صحفُ
المعارضينَ
في المنافي. فإذا قيل: ((هو رجعيّ)) يأمرُ بفتح المباغي
نكايةً بهم، حتّى في الأرياف!..
وإذا زعَمَ المتديّنون المنفيّون أنّه ((فاسقٌ)) أرسلَ
الشمّامين إلى أفواه السكيّرين، أو المشبوهين بشرب
الخمرة..
جريدةُ اليساريين المنفيين قالت: عدوّ التكنوقراط!
ما إنْ أخرجوا له معنى الكلمة من القاموس حتّى
أمر بتشكيل
حكومةٍ هكذا:
وزيرُ الصحة رياضيٌ صحيحُ الجسم، وزيرُ الأوقافِ
كانَ موقوفاً في شبابه بتهمٍ كثيرةٌ،، لاعبُ كرة
قدم

في فريق الحرس الملكي. مدافعاً أيمنَ.. وزير الدفاع!
للدكتاتور سجلاّت ذاكرة أضخم من (لسانُ
العرب)
والموسوعة البريطانية مجتمعين. في السجلات
أسماءُ الجميع، من الملكةِ الأميرةِ السيّدة الأولى،
إلى أسماء أبنائها الأمراء الشرعيين، إلى أسماء
أبناءِ الخفيفاتِ اللواتي يمكنُ رفع إحداهنّ إلى
السرير بكفٍّ واحدة. إلى الوزراء والسفراء
والقوّادين، إلى أسماء شرطة النهار الودودين مع
السيّاح، إلى شرطة الليل الدامس؛ مِن خالعي
الأكتاف إلى قالعي الأظافر والملاّحين، إلى شمّامي
أفواه السكيّرين وحتّى أسماءُ
الخفيفات اللواتي ينام كل ليلةٍ بين عاريتينِ
منهنّ، بعدما صار في الستينات من القرن الماضي ـ
عضواً مؤسساً
في ((عدم الانحياز)) فمن أجل الحياد الإيجابي صار
ينقلبُ

إلى عارية اليسارِ مرّةً وإلى عارية اليمين مرةً أخرى..
كلّ الأسماء في السجّلات. اسمٌ وحيدٌ غير موجود:
((اسم صديق!)). (جلجامش) فقط كان له
((أنكيدو)) وحيدٌ...
ومات.. فمنذُ أوروك لا يتذكّر التاريخ اسمَ صديق
واحدٍ لإمبراطورٍ أو ملكٍ أو رئيس!
الشُعراء وحدهم. لا يملكونَ شيئاً غيرَ الأصدقاء.
ووحدهم يحفظون أسماء أصدقائهم، وأسماءَ
بنات الجيران.. ومن دون سجلاّت!

كتبت في 2 / 10 / 2010
قرئت في مهرجان الجواهري
نشرت في مجلة الأسبوعية عدد 148 ـ 2010

الآبـاءُ يُشبهون أبـناءهم أحياناً!

نحيلٌ في الصحنِ، عشاء الأريافْ

وسريعٌ، ما بين التنّور وبين السُفرةِ،

والسفرةُ من خوص ـ

وأنا مثلُ غروب الرّيفِ، نحيلٌ وسريعُ

لم أولَد مثلَ الناس:

ركضتُ وأمّي ما زالت تَطلَّقُ بيْ...

فتعثّرتُ بحبل السرّةِ

لكنْ. لم أسقطْ

ولهذا. فأنا الأوحدُ بين الريفيّنَ

بلا مسقط رأس!

* * *

نحيلٌ. يكفيني نصفّ الكرسيّ

لأملأ عرشي ـ أعني مكتبتي ـ

وأسافرُ أحياناً ـ مجاناً!..

عندي خمسُ حقائبَ،

كلٌ منها أنحفُ مِن جيب قميصِ

ليست كحقائب كُلّ الناسْ:

لا تحملُ إلاّ ما ترغبُ أن تحملَ

أعني:

أنّي الآن، وقد جاوزت الستينَ،

أنظرْ شعري! ـ

وأنا أحلفُ بالزيتونِ وبالتينْ

أنّي أتعجّبُ مِن عُمري

رغمَ ثلاثِ حروبٍ ـ كيف تعديتُ الستينْ؟!

لكنْ. مازال بفكّيَ حوالي عشرينَ

مِن الأسنانِ

بما فيها سنّ العقلِ ـ

وضرسينِ اثنينْ..

لكنّي لا أملكُ أن أحملَ

حين أسافرَ.. مجاناً ـ

إلاّ فرشاةً واحدةً

فتصوّر ظلمَ حقائبيَ الخمس!؛

فرشاةٌ واحدةٌ

لجميعِ الأسنان!

وفي أسفاري لا آخذُ أيّ كتابٍ؛

وأنا ملكٌ ـ منذُ قليل قلتُ لكم ـ :

عرشي مكتبتي...

لكنَّ أبي...

للعلم: أبي كان يزورُ (العبّاسَ)

مع النّاس.

لكنْ في السرّ يُحبُّ الخلفاءَ:

الأوّلَ.

والثاني.

والثالثَ

والرابعَ.. طبعاً!

ويصليّ أحياناً في السرّ،

ويحفظُ شعر أبي النوّاس!

ونصيحته، حين أسافرُ:

لا تحملْ أيّ كتابِ.. لا تقرأ في المدن الأخرى!

في المدن الأخرى يكفي أن تمشي.. كي تفهم!

وأبي كانَ نحيلاً مثلي

ـ فالآباء على سرِ الأبناء!ـ

وقليلُ الأكلِ... تعلّمَ هذا منّي!ـ

لكنْ

كان ينامُ قبلَ دجاج البيتْ

ليفزّ على صوتِ أذان الفجر..

قلتُ (يفزّ).. ولا يصحو!»

في الرّيف يفزُّ الناس التعبانونَ

على فجرِ تعبانْ

وحينَ يُصيحُ مؤذن قريتنا النعسانْ:

الصلاةُ.. «ثمّ يكابرُ..» خيرٌ من النوم!»

يزجرهُ والدي:

بلْ إنّ صلاةَ الفقراءِ هي النومْ!

والجائعُ، منذُ ولادته،

لا شأنَ له بالصومْ!

أبي ماتَ منذُ سنينِ

ولن أدفنهُ!

فأنا مؤذّنهُ

وأبي مئذنةْ

أبي. لا مجالَ له أن يكونَ عظيماً،

أبي.

لا مجالَ له أن يكون (جليلاً)؛

لأنّ أبي كانَ

(عبدَ) الجليل!

وكثيرٌ أنا، رغمَ أنّي نحيلْ

كثيرٌ أنا مثل صفر اليمينِ،

أكثرُ غيري!

نشرت في مجلة الأسبوعية عدد 73 30 ايار 2009

البصرة في المقهى
- إلى حسين عبد اللطيف..جِدّاً -

في المقهى نجلسُ مهمومينِ، ونضحك مهمومينِ، ونشرب شاياً مهموماً - لا سكّر في شايكَ، شايي لا بأسَ بسكّرهِ -

نتعاركُ في الشعرِ، ولكنْ، نتصالحُ في (سعدي)!....

والأيام تدور - كما راقصةُ النوبان السوداءُ - الحرب تدق الأبواب.. هنا في البصرةِ لا ثلجَ - كما في باريسَ - هنا لا تمطرُ أصلاً، حتى تتبرّدَ نارُ الحربِ «ابن الزفرةِ أشعلها!» - تعني صدام ولكنْ همساً، وأنا اضحكُ همساً أيضاً..(فالقهوةُ) - اعني المقهى - معتمةٌ والمخبرُ لا ندري أينَ، فقد يجلس خلفي، أو خلفكَ، أو قد نجلسُ خلف المخبرِ..لا ندري!..

والحربُ تدورُ - كما راقصةُ النوبان السوداءُ - الحربُ تدقُّ الطبلَ، الدفِّ، الدمّامَ، الطارَ، المرواسَ، الزنبورةَ..و(القهوةُ) - اعني المقهى - فارغةٌ: نصفُ الأدباءِ جنودٌ، والنصف الثاني في التدريبِ، الطيرُ تجنّدَ أيضاً: الزرزور، الدوريُّ، الوروارُ، الخطّافُ، الحذّافُ، قطاةُ البرِّ، الزاجلُ، والأشعلُ، والخنبيُّ..(حَمامُ الكاظِم) أيضاً لم يسلمْ! «ابنُ الزفرةِ أشعلها!»..صرنا نسخرُ، نحن الشريبينَ من (الحكمةِ) - حكمةِ ابن الزفرةِ

ـ عن عرَقِ التدريبِ..(الزحلاويّ) وكيف يقلّلُ من دمنا في الجبهة!..

بعد الحربِ، وبعد القصْفِ، ضحكنا مهمومَينِ: أحقاً نحن سلمنا من كل حروبِ (ابن الزفرةِ)، هل كنا محظوظين لنطبعَ ديواناً آخرَ؟ هل كنا نجلسُ حقاً فوق الطرقاتِ، نراقب من مرَّ ـ كما نتوهّمُ ـ أمْ كان المخبر يرقبنا؟!

أو، من سيموتُ الأولَ منا؟

مجموعاتي خمسٌ، مجموعاتكَ خمسٌ لا أكثرَ

هل يكفي هذا لنموتَ

ونتركَ خمسةَ أيتامٍ لا أكثرَ؟!

....

....

في المقهى أجلسُ وحدي مهموماً

اضحكُ وحدي مهموماً

أتعاركُ وحدي مهموماً

لكنْ؛

اشربُ شايينِ اثنينْ:

شاياً لا بأسَ بسكّرهِ

والآخرَ لا سكّرَ فيه!

البصرة في 16 ـ 8 ـ 2014

وجهي بـصراويٌ من سومرَ..

أمطار البصرة ـ سبحان الله، كما الجُدريَ ـ تـُنقـِّر وجهَ النهرِ... هنا، في البصرة، نحن نقول: الدنيا تمطر! لاحظْ! كل الدنيا نعني! لكنْ. تبتدئ الأمطار هنا مِن غيمة حزن سوداءَ. الدمعة ُ، أعني الأولى، لا تسقط الاّ خجلى، مثل حزين خجلانَ..هنا في البصرة، لا يبكي رجلٌ قدّام الناس..بلى.قد تبكي أمٌّ علّناً..لا لومَ على أمّ، عادوا ببنيها ملفوفين بأعلام الدولة، أو ملفوفين بأعلام الأحزاب..الآنَ!...

وقد تبكي أختُ، عادوا بأخيها(عبد المعبود)..بلا رأسٍ! أو عادوا بأخيها..(عبد العبّاسِ)، الأسماءُ هنا، في البصرة، لا تعني شيئاً، فلديَّ صديق يدعى (هادي)ـ والاسم هنا بين هلالينِ ـ ولكنْ.هادي هذا، فوّارٌ مثل تنانير الأريافِ!..(جميلةُ) جارتنا، أقبح من تمساحِ! وأنا (كاظمُ)، أعني اسمي لا أكظم شيئاً، حتى ضدّ امرأتي!و(المجلسُ)..لا يجلس، إلاّ حين يسافرُ نوّابُ الشعب..إلى عمّانَ!..إلى أين ذهبتُ؟!..أنا أعني: عادوا بأخيها (عبد المعبود)..بلا رأس.تدري؛ في الجبهة ـ لا عادت أيّامُ الجبهة! ـ قد ينسى جنديٌّ كل الأشياء هناك، بما فيها..الرأس!..وقد كانت نائمة، من هَمّ البيت، فلم يوقظـْها (عبدُ المعبودِ)..مشى للجبهة

سِرّاً هذي المرّة، في الفجرِ..وكانت تمطر..أعني كلّ الدنيا. والأخت
إلى الآن ـ وقد صارت في الخمسينَ..تخرمش خدّيها: يا (عبدَ المعبود)
لماذا لم توقظ أختك؟!..للآن المطر الجدريّ ينقرّ خدّيها. والدنيا.كلّ
الدنيا.تبكي.. حتى النهرانَ التقيا في رأس البصرة، من (شجرة آدمَ)،
كلُّ دموعِ النهرين تصبّ هنا. وأنا ـ أستغفر ربّي من قول أنا ـ أعني:
أنّي بصراويٌّ من (سومَر) ـ حمداً لله ـ ووجهي مِن طين الزقـــورة.
والطين يداس.بلى.لكنْ من دون إهاناتٍ!..حتى يتخمّر بالتبن. وقد كان
الأجداد يدوسون الطين مع التبن، ـ كما نرقص نحن الأحفادَ الآنَ ـ ،
فنحن البصريين اعتدنا أن نرقص فرحانينَ، ونرقص فوق الطين ونرقص
مقهورينَ ـ كما الافريقيّون ـ ونرقص مذبوحين، كما من عشر سنينٍ..

عيب البصريينَ الأصلاء، الطبلُ يخربط مشيتنا!..لا بصريَّ أصيلٌ،
يمشي(محترماً) والطبلُ يدقُّ..(أفا!!)..فالبصريُّ خفيف القلب، خفيف
الرجلينِ.

أنا أعني: أرجـُلنا ملكٌ للطبّالينَ اسألْ (سعد اليابس!)..او فأسأل
(تومان).لماذا (تومانُ)؟ أليستْ جدَّتنا (رابعةُ العدوية)، كانت راقصةً،
رِجلاها مِلكٌ للطبّالينَ؟..

ولكنْ.لم يقتلها أحدٌ..ما كان هناك رعاعٌ مثلَ اليوم، ولا تكفيريّونَ.
وما كانت رشّاشاتٌ مثل اليوم، (الرشّاشاتُ) ـ بأيّام (الجاحظ)يرحمه
الله ويرعاهُ! ـ زجاجات من (جيرانستانَ)ترشّ العِطر وماءَ الورد..وما
كان الجيرانستانيّون، يَسدّون الماءَ عن البصرة، مثل الآنَ!..انظر، أين
ذهبتَ؟!أنا أعني: كانت (رابعةُ العدوية) جدَّتُنا، راقصةً..لكنْ لم يقتلْها

نوّابٌ من نوّابي (شارع بشّارَ)، (هنا في البصرة)..لا أعني بشّارَ الشام!. ولم يقتلها (اخوانيٌّ). لا إخوانَ له!..حتى امتدَّ بها العمر، فصارت (عذراء البصرة)..جاءت (رابعةُ) المسكينة، بعد ثلاث بنات.مِن حُسن الحظِّ، البصرةُ ما كانت تئد الأنثى، مثل قريشٍ سادتنا، بعدَ الإسلام وقبل الإسلام! ولا تمنع أنثى - أعني البصرةَ - مثلَ (المملكةِ) الآن.. أنا أعني: البصرةُ لا تمنع أمّاً أن تركب ناقتها، أو تركب سيّارتها من دون حفيدٍ ذكرٍ (مُحرَم!)...أنظرْ! أين ذهبتُ؟! أنا أعني. جاءت (رابعةٌ) بعد ثلاث بنات.أعني.جاءت رقماً، لا اسماً...حتى أنّ (الإخوان) المصريين الآن، يضمّون الإبهام، لكي تبقى (رابعةٌ) رابعة بين أصابعهم، لا أكثرَ..أو أنَّ الرقم يشير إلى الرؤساء المصريين ثلاثتهم، والى رابعهم -..لا اعني فتيانَ الكهف مع الكلب!..أنا أعني رابعهم..(مرسي)!.

أين ذهبت؟!أنا أعني. لا شأن لنا بالإخوان المصريين ولا بالمصريين (الإخوانِ)!؟ونحن لدينا هذا الكمُّ وهذا الهمُّ من (الإخوان) النّوابِ.. أنا أعني نوّابَ الأحزاب. أنا لا أعني نوّاب الشعب...لدينا شعبٌ لا نوّابَ له!..حتى الكتلُ الكبرى، ليست من طين حرّيّ، ليست من طين الزقـورات الممزوج مع التبن..لدينا تبنٌ، لا غيرَ..!إلى أين ذهبتُ؟.. إلى أين ذهبت؟!

البصراويون

لا ميناء يُطلّ على الصحراءِ

ـ وليس البحر ـ

سوى هذا الميناء!

* * *

أيتها السماء!

لسنا محتاجين ملائكةً، تنزل ثانيةً..

هذي الأرضْ؛

شبعت جوعاً ودماً يكفي..

إنّا نحتاج إلى مطرٍ منكم..لا غير!

* * *

بالأمس تمنيت الموتَ:

دخلت إلى مقهاي، ولم يعرفني أحدٌ..

وأنا.لم أعرف أحداً، في مقهاي

اكرّر: في مقهايْ!

صرنا غرباء جميعاً، والغربةُ موتٌ..حيٌ!

كلٌ مِنّا في قبرٍ، لا قبرَ لاثنينْ!

ولذا.

أوصيت بأن أدفن ـ ميتاً او حيّاً ـ

في مقبرة الحسنِ البصريّ

وليس (هناكَ)...

فنحن البصريين نخاف الغربةَ

حتى بعد الموت!

في حُلم من أحلامي، خيّرني ربّي أن أمسح عن الوجود

واحدةً من اثنتين: هولندا.أو..قطر!

وحتى من دون أن أرمشَ متردداً، أبقيت هولندا؛

لأنها قدمت إلى عيون البشر ثلاث متعٍ ملوّنة لا تفنى:

رامبرانت.فان كوخ.وستار كاووش. العراقي..

ثم إنها لم ترسل إلينا، بالبريد المسجّل، أي إرهابيّ هولنديّ!

* * *

ولا تبكي يا أمَّ المغدور

فلسنا أحياءَ بما يكفي

حتى نرثي الأموات!

* * *

تعبي لا يصلح للشغلِ

أنا. أرباحي فادحةٌ، مثلُ خساراتي!

يا ربّي!

كم كنّا ـ منذ طفولتنا ـ نحن الشعراءَ

نؤجّل قبحَ الكون!

* * *

ما صمتُ سوى ساعات طوالَ حياتي..

لم أكمل أبداً صوم اليوم؛

لأنّي لا أتحمل ذلّ الجوعِ

ولو من أجل الجنة!؟..

وأنا. لا أتحمّل ذلَّ الأكل (هناكْ)!

أعني. أن تأكل مجّاناً، تحت الأعينِ

مثل الأسرى!

* * *

وأنا لا أخشى من قاضٍ، فأنا محكمتي:

أستيقظ في نصف النوم، لأبكي أخطاءَ نهاري!

وأنا معروف، في البصرة، منذ صباي؛

أنا.كنت الأنحف والأنحلَ، بين الفتيانْ

والبصرة، منذ الجاحظ، فيها الاثنانِ:

نخيلٌ و..نحيلٌ.للآن!

* * *

يا كامل شياع. يا يوسف الصائغ. يا حسين الحسيني. يا كزار حنتوش. يا مهدي محمد علي. يا عبد اللطيف الراشد. يا منذر الجبوري. يا فهد الأسدي. يا سليم السامرائي. يا يعرب طلال. يا يعرب السعيدي. يا شيركو بيكس. يا قاسم علوان. يا محمود عبد الوهاب. يا جبار صبري العطية. يا سيف الدين الجرّاح. يا رعد مطشر. يا حميد مجيد مال الله. يا فؤاد سالم. يا عبد اللطيف بندر اوغلو. يا عبد الستار ناصر. يا طارق الشبلي. يا عبد الستار العاني. يا مجيد العلي. يا محمود النمر. يا أحمد المظفر. يا حسين عبد اللطيف.

لماذا أنقصتم عددنا أمام هؤلاء

ونحن أقلّية أصلاً؟!

9 /10 /2914

إشارات

- القصائد مكتوبة بين الأعوام 1987 ـ 2011.

نشر بعض القصائد في:

- الآداب البيروتية العدد 11 ـ 12 ـ 1989، والعدد 11 ـ 12 ـ 1994.
- وفي (الجماهيرية) الليبية العدد 500 ـ 1989.
- وملحق جريدة (الصحافة) التونسية: العدد 40 ـ 1994.
- سيناريو موت جندي.. نشرت في عدد مجلة الآداب الخاص بالأدب العراقي 1994.
- قصيدة (الممثل) نشرت في الأهالي الأردنية: 2 ـ 12 ـ 1993.
- (مساء ـ داخلي) نشرت في «الحركة الشعرية «الصادرة في المكسيك العدد 4 صيف 1994.

صدر للشاعر:

- «أخيراً تحدث شهريار» بغداد ـ 1973.
- «إيقاعات بصرية» ـ بغداد 1987.

- «غزالة الصبا» ـ عمان 1999.
- «ما لا يشبه الأشياء» بغداد 2005.

كتب أخرى:

- المدينة والمدفع ـ البصرة تحت القصف ـ بغداد 1994.
- المرأة والجنس بين الأساطير والأديان ـ دراسة انثربولوجية بيروت 2002.
- جدارية النهرين ـ دمشق 2011.

الفهرس

كاظم الحجاج... العالم لا يُحْتَمَلُ إلا بالسخرية المبدعة **5**

غزالة الصبا **7**

توحيد **9**

البَصرْيّون: **10**

تجنيس: **11**

حسناء: **12**

تحرير: **13**

لولا: **14**

تبشير: **15**

رفض: **16**

ورق الأربعين **17**

أمجاد **18**

جنوبيّون: **19**

زوّار: 20
مراهقة: 21
الفجر 22
شجرة الأقزام: 23
كاريكتير شرقي: 26
آدم وحواء: 27
نضج 28
أجزاء المرأة: 29
سيناريو موت جندي 30
في أرض أخرى 30
عبور غزة 37
التماثيل 40
الممثّل 41
آثار 43
لون 44
(مساء ـ داخلي) 45
أعمار: 49
تعكير: 50
نقد ذاتي: 51

عارضة أزياء: 52
شفافية: 53
غرق: 54
سكيتش 55
نجوم: 56
القرى: 57
لقاء إذاعي مع العريف المتقاعد حطـّاب: 58
غزالة الصبا 64
من ألواح الشاعر السومري 68
(أنا هو): 68
في قاموس أنا هو: 74
قصة شعرية 76
حكاية العبد آدم وعين الغزال: 76
اقتباس أخير: 86
ما لا يُشبه الأشياء 87
ستعود الريشة للطائر ومريم.. لنا 89
خارج الحدود.. داخل المتن: 91
رؤوس أقلام حول نظرية اختراع القلم الأوّل وتزييف الحقائق به: 93
رؤوسٌ ليست لأحدٍ من الأقلام: 95

فلاش باك: 101

تعال إلى حانتي! 106

سِفر المرايا 121

سفر المرايا 123

رسالةُ العين 132

نشيدُ النخلة 141

نشيدُ النخلة 143

إيقاعات بصرية 157

أم الشهيد 159

أربعة وجوه بصرية تحت القصف 163

رؤيا حامد 170

ما قاله هاني بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار 177

حراس الشط 183

إيقاعات بصرية 186

القهوة المرّة 193

حوار 195

إيقاعات سريعة مجموعة قصائد قصار 197

انعكاس.. 199

تصحيح! 200

تعتيم.. 201
سيما.. 202
تومان البصري 203
مهر.! 204
جدارية النهرين 205
نشيد العراق 207
كابوس الشاعر 209
قصة فقدان إبرة خياطة 211
صلاة على ما تبقى 219
حكاية وهب النصرانيّ 224
عجوزٌ يُحبّ مدينَتَهُ... بالأمس! 228
في آخرِ الليلِ أهذي لأولادي 235
جداريّةُ النهرين 241
عينُ الزيتونِ الأسود 246
أنظـُرْ بعينٍ من نهْرَين! 254
لِلعَلَمِ الأخيرِ لونُ البُستان 260
القصائدُ عشناها.. لن نكتبها! 265
يوسف يَرسُم.. 270
مالا يمتلكُهُ الدكتاتور يمتلكهُ الشّاعر 273

الآباءُ يُشبهون أبناءهم أحياناً! 280
البصرة في المقهى - إلى حسين عبد اللطيف..جِدّاً - 285
وجهي بصراويٌ من سومرَ.. 287
البصراويون 290
إشارات 295

الأعمال الشعرية

كاظم الحجاج

ما لم تغادر الطيور أعشاشها ..
ما لم يخرج الفلاحون
والرعاة إلى الحقول
والعمّال إلى المصانع
ما لم تمسح الأمهات نومهُنّ
ويُشعلن نيران المواقد
ما لم تفتح الجميلات –
كلّ الجميلات – عيونهنّ
ثمّ يتثاءبنَ في وجه الكون ..
ويبتسمن .
ما لم يحدث كلّ ذلك، في كلّ يوم
فإن صياح الديك وحدَه
لن يصنع فجراً جديداً !

صورة الغلاف: أحمد محمود





دار سطور للنشر والتوزيع
بغداد ـ شارع المتنبي ـ مدخل جديد حسن باشا
هاتف: 07711002790 - 07700492576
e.mail: bal_alame@yahoo.com


ISBN 978-1-7732210-1-4